مجلة جامعة الأقصى (سلسلة العلوم الإنسانية) المجلد الحادي والعشرون، العدد الثاني، ص68-108، يونيو2017
ISSN 2518-5810

التشاؤم في القرآن الكريم

د. ماجد رجب سكر*

الملخص

يتناول البحث دراسة موضوعية لإبراز مفهوم التشاؤم في القرآن الكريم والألفاظ ذات الصلة، ذلك أن التشاؤم عادة جاهلية استشرت في المجتمع الجاهلي؛ فلابد من التعامل معه قرآنيًا، وقد تطرق البحث إلى أسباب التشاؤم، ونسبته إلى أشخاص بعينهم حتى ولو كانوا أنبياء، ثم تطرق البحث إلى الآثار السيئة للتشاؤم، ووضع علاجٍ لها.

Abstract

This paper is an objective study which aims to highlight the concept of pessimism and all words and phrases relevant in the holy Quran. That is because pessimism is a pre-Islamic habit which was prevalent in the pre-Islamic society. Based upon that, pessimism should be dealt with Quranically . The paper also investigated the main causes of pessimism and its being attributed to certain individuals even if they are prophets. The paper, then, researched into the bad effects of pessimism and how they are to be remedied.

* كلية الآداب والعلوم الإنسانية– جامعة الأقصى– غزة– فلسطين.

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة:

إنّ الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مُضلَّ له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، صلوات ربي عليه وسلامه وعلى آله وأصحابه وأزواجه، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، أما بعد:

إن القرآن العظيم كتاب كريم حوى علم الأولين والآخرين، كما تعامل مع الناس وعاداتهم بجميع أصنافها؛ فكان المعين الذي لا ينضب، والطبيب المداوي لجميع المشكلات.

لقد كان التطير والتشاؤم أثر عظيم في حياة المجتمعات قبل الإسلام، فقد أثر للتطوير والتشاؤم على أرزاق الناس وتصرفاتهم وأسفارهم وحلهم وترحالهم، بل حتى في غزواتهم، وقد نظم الشعراء قصائد متعددة تسجل لنا هذه الظاهرة؛ فكان لا بد من التركيز القرآني على هذه الظاهرة، فقد اُتُّهم الأنبياء وتشاءم البعض منهم، فلم يقبلوا دعوتهم.

لذا كان لا بد من تسليط الضوء على هذا النمط من الدعوة إلى الله، فكان هذا البحث والموسوم بـ (التشاؤم في القرآن الكريم).

أولاً- أهمية الموضوع:

تنبع أهمية هذا الموضوع من خلال النقاط الآتية:

1) أن موضوع التشاؤم منتشر في الشرق والغرب؛ فهو ظاهرة لا يمكن تجاهلها.

2) أن المجتمع الجاهلي تأثر بدرجة كبيرة بهذه الظاهرة.

3) تسليط الضوء على مفهومه وأسبابه ووضع الحلول الازمة لعلاجه.

ثانياً- أسباب اختيار الموضوع:

تعد الأسباب الآتية من أهم الأسباب التي دفعت الباحث لاختيار هذا الموضوع:

1) ما لهذا الموضوع من أهمية عظيمة للأمة الإسلامية؛ كونه يسهم في علاج مرض خطير.

2) إبراز هذا الجانب والكتابة فيه لعدم تناول مثل هذا الموضوع كما يظن الباحث.

ثالثاً- منهج البحث:

استخدم الباحث في هذه الدراسة المنهج الوصفي التحليلي؛ باعتباره أنسب المناهج.

رابعاً- خطة البحث:

يتكون البحث من مقدمة، وستة مباحث، وخاتمة، وذلك على النحو الآتي:

المقدمة: وتشتمل على أهمية البحث، وأسباب اختياره، ومنهج البحث وطبيعة العمل فيه، وخاتمة.

المبحث الأول: مفهوم التشاؤم.

المبحث الثاني: التشاؤم عادة جاهلية.

المبحث الثالث: أسباب التشاؤم.

المبحث الرابع: نسبة المصائب إلى أشخاص.

المبحث الخامس: آثار التشاؤم.

المبحث السادس: علاج التشاؤم.

الخاتمة: أهم النتائج والتوصيات.

المراجع والمصادر.

المبحث الأول: مفهوم التشاؤم

إن بيان مفهوم التشاؤم يقتضي الحديث عن معنى التشاؤم لغةً واصطلاحًا، إضافة إلى بيان الألفاظ ذات الصلة بتلك اللفظة، سواء أكانت مقاربة أم مضادة لها، وبيان ذلك فيما يأتي:

المطلب الأول- المعنى اللغوي والاصطلاحي:

أولاً- التشاؤم لغةً:

قال ابن فارس: (شأم) الشين والهمزة والميم أصل واحد يدل على الجانب اليسار، ومن ذلك المشأمة، وهي خلاف الميمنة[1]، والشُؤْمُ: نقيض اليُمْن، يقال: رجل مَشومٌ ومشئوم، ويقال: ما أشأم فلانًا. والعامة تقول: ما أيشمه. وقد شأم فلانٌ على قومه يَشْأَمُهُمْ، فهو شائم، إذا جرَّ عليهم الشؤم. وقد شُئِمَ عليهم فهو مَشْئُومٌ، إذا صار شُؤْماً عليهم[2]، ومنه قولهم لليد الشمال: **(الشؤمى)** تأنيث الأشأم[3]، والشَّأْمَةُ: خلاف اليَمْنَةِ، والمَشْأمة: خلاف المَيْمَنَة. والشَّأْمُ: بلادٌ تذكر وتؤنث؛ سميت بها؛ لأنها عن مَشْأمة القِبلة... وهي الشَّآمُ، والنسب إليها: شامِيٌّ وشَآمٍ... والمَشْأمةُ: المَيسَرة، وكذلك الشَّأْمَةُ[4]، وشؤم الدار ضيقها وسوء جارها، وشؤم المرأة أن لا تلد، وشؤم الفرس أن لا ينزى عليها،

والواو في الشؤم همزة ولكنها خففت فصارت واوًا، وغلب عليها التخفيف حتى لم ينطق بها مهموزة، وقد شئم عليهم وشؤم وشأمهم، وما أشأمه، وقد تشاءم به، ويقال: شأم فلان أصحابه إذا أصابهم شؤم من قبل[5].

ثانياً- التشاؤم اصطلاحًا:

قال الحليمي كما نقله ابن حجر في الفتح: التشاؤم: "سوء ظنٍّ بالله تعالى بغير سبب مُحقَّق"[6]. وقال ابن عاشور التشاؤم: هو عَدُّ الشيء مشؤومًا، أي: يكون وجوده سبباً في وجود ما يُحزِن ويَضُرُّ[7].

مما سبق يظهر أن التشاؤم هو: توهم حصول الشر والمكروه ارتباطاً بجهةِ الشمال؛ إذ يُذهب إليها، أو يُؤتى منها، أو يكون فيها كلُّ ما يُخافُ قدوم السوءِ منه، بصورةٍ تؤدي إلى القعود عن أداء الواجب، أو على الأقل الكسل والتواني، والتراخي نتيجة إساءة الظن بكل شيء في هذا الوجود، أو في هذه الحياة، ثمّ أُطلق اللفظُ وعُمِّمَ.

المطلب الثاني- الألفاظ ذات الصلة:

أولاً- التطير:

التطير لغة: قال ابن فارس: "الطاء والياء والراء أصل واحد يدل على خفة الشيء في الهواء، ثمّ يستعار ذلك في غيره وفي كلّ سرعة،"[8]، وقد بيّن الرّاغب العلاقة بين الطّير والتّطيّر فقال: وتطيّر فلان، واطّيّر: أصله التّفاؤل بالطّير، ثمّ يستعمل في كلّ ما يتفاءل به ويتشاءم[9].

التطير اصطلاحًا: قال ابن القيم: هو "التشاؤم من الشَّيْء المرئي أَو المسموع"[10]. وقال الإمام النووي: "والتطير: التشاؤم، وأصلُهُ الشيءُ المكروه من قول، أو فعل، أو مرئي"[11].

وسُمِّيَ التشاؤم تطيراً؛ لأنَّ العرب كانُوا في الجاهلية إذا خرج أحدُهم لأمرٍ قصد عش طائر فيهيجه، فإذا طار الطيرُ من جهة اليمين تيمن به ومضى في الأمر، ويسمون هذا الطائر في هذه الحالة: (السانح). أما إذا طار جهة يسار الإنسان تشاءم به، ورجع عما عزم عليه، وكانوا يسمون الطير في هذه الحالة: (البارح).

فالتطيُّر هو: توقُّع السُّوء من جهة الطيور وحركاتِها وأصواتِها، ثم أُطلِق على كل ما يُتوهَّمُ أنه سببٌ في الضرر والشُّرور.

الفرق بين التشاؤم والتطير:

مما سبق يظهر أن الطِّيَرة والتشاؤم مترادفان في معناهما؛ مع خصوصيةِ كلٍّ منهما في أصلِ اصطلاحه؛ فالتطيُّر هو توقع السوء من جهة الطيور وحركاتها وأصواتها، ثم أُطلِق على كل ما يُتوهَّمُ أنه سبب في الضرر والشرور، أما التشاؤم فهو توهُّم الضرر والشرور ارتباطاً بجهةِ الشمال إذ يذهب إليها، أو يأتي منها، أو يكون فيها كلُّ ما يُخافُ قدوم السوءِ منه، ثمّ أُطلق اللفظ وعُمِّمَ.

وبذلك نجد أن اللفظين مترادفان في المعنى، متطابقان في المُؤدّى؛ لا فرقَ بينهما إلا من جهة أصل الاصطلاح. فنجد كثيراً من العلماء يُعرّفون أحدَهما بالآخر؛ بل إنّ الحافظ ابن حجر العسقلانيّ قال بالعبارة الصريحة: "والتطيُّر والتشاؤم بمعنىً واحد"[12].

ثانياً- التفاؤل:

التفاؤل لغة: الفأل ضد الطيرة، قال ابن السكيت: "الفَأْلُ أن يكون الرجل مريضاً فيسمعُ آخر يقول: يا سالمُ، أو يكون طالباً فيسمع آخر يقول: يا واجدُ"[13]، والفأل مهموز، ويكون فيما يسرّ ويسوء[14].

التفاؤل اصطلاحًا: الفأل هو الكلمة الصالحة أو الكلمة الطيبة أو الكلمة الحسنة[15]. مصداق ذلك ما جاء في الحديث الشريف من أنه -صلى الله عليه وسلم- سئل عن الفأل فقال: (الكلمة الصالحة يسمعها أحدكم)[16]. وجاء في حديث أنس -رضي الله عنه- (أن الفأل: الكلمة الحسنة والكلمة الطيبة)[17].

وعليه فالمراد بالتفاؤل: انشراح قلب الإنسان وإحسانه الظن، وتوقع الخير بما يسمعه من الكلم الصالح أو الحسن أو الطيب.

الفرق بين التشاؤم والتفاؤل:

مما سبق يتضح أن التشاؤم ضد التفاؤل؛ فالتفاؤل فيما يستحب، والتشاؤم لا يكون إلا فيما يكره[18]، وقد أحب الناس الفأل؛ لأنهم إذا أملوا فائدة من الله ورجوا عوائده عند كل سبب ضعيف أو قوي؛ فهم على خير، ولو غلطوا في جهة الرجاء؛ فإن الرجاء لهم خير، وإذا قطعوا أملهم ورجاءهم من الله؛ كان ذلك من الشر، وأما التشاؤم فإن فيه سوء الظن بالله وتوقع البلاء[19].

ثالثاً- التوكل:

التوكل لغة: (وكل) الواو والكاف واللام: أصل صحيح يدل على اعتماد غيرك في أمرك. والتوكل منه، وهو إظهار العجز في الأمر والاعتماد على غيرك[20]، ووكل أمره إلى غيره: أي ولّاه إياه[21].

التوكل اصطلاحًا: قال ابن القيم: "هو اعتماد القلب على الله وحده، فلا يضره مباشرة الأسباب مع خلو القلب من الاعتماد عليها والركون إليها"[(22)]، وقال أيضًا: "هو اعتماد القلب على الله في حصول ما ينفع العبد في دينه ودنياه، ودفع ما يضره في دينه ودنياه"[(23)].

الفرق بين التشاؤم والتوكل:

مما تقدم يتضح أن التشاؤم والتوكل ضدان لا يجتمعان، فالتشاؤم مرضٌ والتوكل علاجه، فالتشاؤم هو الطيرة كما تقدم، وقد قال رسول الله –صلى الله عليه وسلم–: (الطيرة شرك، وما منا إلا...، ولكن الله يذهبه بالتوكل)[(24)].

الخلاصة:

ويظهر مما سبق أن التشاؤم يتفق مع بعض المصطلحات السابقة في أمور، ويفارقها في أخرى، وبيانه على النحو الآتي:

-التشاؤم والتطير بمعنى واحد، فهما لفظان مترادفان في المعنى، متطابقان في المُؤدّى؛ لا فرقَ بينهما إلا من جهة أصل الاصطلاح.

-التشاؤم والتفاؤل ضدان مختلفان، والتشاؤم يكون فيما يكره الإنسان، بينما التفاؤل فيما يحب.

-التشاؤم والتوكل، كالمرض وعلاجه، فالتوكل علاج للتشاؤم والتطير.

المبحث الثاني– التشاؤم عادة جاهلية:

التشاؤم والتطير عادةٌ موغلةٌ في القِدَم، ضاربةٌ في أعماق التاريخ، ارتبطت ارتباطاً مباشراً بمخاوف الإنسان من المجهول، وتوجّسه من المفاجآت، وترقّبه لحلول المصائب والفواجع، والأحزان والمكاره، وتنزّل الأقدار التي يتمنّى المرءُ خلافها، ويرجو ضدّها، ولقد نجحت تلك العادة الجاهليّة في التسلّل إلى النفوس الضعيفة المتذبذبة، واستطاعت أن تستغلّ أوهامها وظنونها، حتى تمكّنت من جعل أصحاب تلك النفوس يلتمسون الخير ويربطون عزائمهم ويضعون قراراتهم بيد من لا يعقل من الحيوانات والطيور، ويرتكبون أمورًا يتعجّب المرء منها كزجر الطير والاستقسام بالأزلام، وغير ذلك مما يأباه العقل وتستهجنه الفِطَر السليمة ويتنافى مع الشرع، وقد تشاءم ثمود من نبيهم صالح –عليه السلام–، وتشاءم فرعون وآله من موسى –عليه السلام–، كما تشاءم كفار مكة من محمد –صلى الله عليه وسلم–، وفيما يأتي تفصيل ذلك.

تشاؤم قوم صالحٍ –عليه السلام–:

جاء نبي الله صالح إلى قومه ثمود ليخرجهم من الظلمات إلى النور، فما كان منهم إلا أن عاندوه ولم يلتزموا دعوته –إلا قليلًا–، بل ذهبوا إلى أكثر من ذلك، فقد أصبح بينهم –هو ومن معه– مصدر شؤم لهم؛ قال تعالى: ﴿**قَالُوا اطَّيَّرْنَا بِكَ وَبِمَنْ مَعَكَ قَالَ طَائِرُكُمْ عِنْدَ اللهِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تُفْتَنُونَ**﴾ (النمل:47)، قالوا له: تشاءمنا بك وبمن معك من أتباعك، وزجرنا الطير بأنا سيصيبنا بك وبهم المكاره والمصائب[25]، وقد أرجع الزمخشري سبب شؤمهم إلى القحط الذي أصابهم، حيث قال: "أي: تشاءمنا وكانوا قد قحطوا"[26]، وأكد النسفي هذا السبب فقال: "تشاءمنا بك لأنهم قحطوا عند مبعثه لتكذيبهم فنسبوه إلى مجيئه"[27]، وقال السمعاني: "وفي سبب قولهم هذا قولان: أحدهما: أنهم قالوا ذلك؛ لتفرق كلمتهم، والقول الثاني: أنهم قالوا ذلك؛ لأنهم أصابهم الجدب والقحط، فقالوا لصالح: هذا من شؤمك"[28].

قال ابن كثير: ما رأينا على وجهك ووجوه من اتبعك خيرًا. وذلك أنهم –لشقائهم– كان لا يصيب أحدًا منهم سوء إلا قال: هذا من قبل صالح وأصحابه[29]. مما حدا بنبي الله صالح –عليه السلام– أن يرد عليهم بما علمه الله وبما أرسل معه من تشريع واضعًا الأمور في نصابها: ﴿**قَالَ طَائِرُكُمْ عِنْدَ اللهِ**﴾، أي قال: إن ما يصيبكم من خير أو شر مكتوب عند الله وهو بقضائه وقدره، وليس شيء منه بيد غيره، فهو إن شاء رزقكم، وإن شاء حرمكم، وسمي ذلك القضاء طائرًا لسرعة نزوله بالإنسان، فلا شيء أسرع منه نزولًا، ثم أبان لهم سبب نزول ما ينزل من الشر بقوله: ﴿**بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تُفْتَنُونَ**﴾، أي بل أنتم قوم يختبركم ربكم حين أرسلني إليكم أتطيعونه فتعملوا بما أمركم به فيجزيكم الجزيل من ثوابه، أم تعصونه فتعملوا بخلافه فيحل بكم عقابه[30].

تشاؤم أصحاب القرية

قال تعالى: ﴿**وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ إِذْ جَاءَهَا الْمُرْسَلُونَ * إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ فَقَالُوا إِنَّا إِلَيْكُمْ مُرْسَلُونَ * قَالُوا مَا أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا وَمَا أَنْزَلَ الرَّحْمَنُ مِنْ شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ * قَالُوا رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّا إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ * وَمَا عَلَيْنَا إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ * قَالُوا إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ لَئِنْ لَمْ تَنْتَهُوا لَنَرْجُمَنَّكُمْ وَلَيَمَسَّنَّكُمْ مِنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ * قَالُوا طَائِرُكُمْ مَعَكُمْ أَئِنْ ذُكِّرْتُمْ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُسْرِفُونَ**﴾ **(يس: 13 – 19).**

لم يذكر القرآن من هم أصحاب القرية ولا ما هي القرية، وقد اختلفت فيها الروايات، ولا طائل وراء الجري مع هذه الروايات، وعدم إفصاح القرآن عنها دليل على أن تحديد اسمها أو موضعها علم لا ينفع وجهل لا يضر، ومن ثم أغفل التحديد، ومضى إلى صميم العبرة ولبابها؛ فهي قرية أرسل الله إليها رسولين، فكذبهما أهل تلك القرية، فعززهما الله برسول ثالث يؤكد أنه وأنهما رسل من عند الله، وتقدم ثلاثتهم بدعواهم ودعوتهم من جديد: ﴿**فَقَالُوا إِنَّا إِلَيْكُمْ مُرْسَلُونَ**﴾، وقد اعترض أهل القرية عليهم بالاعتراضات المكررة في تاريخ الرسل والرسالات: ﴿**قَالُوا مَا أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا**﴾ ﴿**وَمَا أَنْزَلَ الرَّحْمَنُ مِنْ شَيْءٍ**﴾ ﴿**إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ**﴾، وقصدوا أنكم لستم برسل وما أنزل الرحمن من شيء مما تدعون أنه نزله عليكم من الوحي والأمر بأن تدعونا إليه، إن أنتم إلا تكذبون، وتدعون أنكم مرسلون، وفي ثقة المطمئن إلى صدقه، العارف بحدود وظيفته أجابهم الرسل: ﴿**قَالُوا رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّا إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ * وَمَا عَلَيْنَا إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ**﴾، إن الله يعلم، وهذا يكفي، وإن وظيفة الرسل البلاغ، وقد أدوه. والناس بعد ذلك أحرار فيما يتخذون لأنفسهم من تصرف، وفيما يحملون في تصرفهم من أوزار، والأمر بين الرسل وبين الناس هو أمر ذلك التبليغ عن الله، فمتى تحقق ذلك؛ فالأمر كله بعد ذلك إلى الله، ولكن المكذبين الضالين لا يأخذون الأمور هذا المأخذ الواضح السهل اليسير، ولا يطيقون وجود الدعاة إلى الهدى فتأخذهم العزة بالإثم، ويعمدون إلى الأسلوب الغليظ العنيف في مقاومة الحجة، ﴿**قَالُوا إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ لَئِنْ لَمْ تَنْتَهُوا لَنَرْجُمَنَّكُمْ وَلَيَمَسَّنَّكُمْ مِنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ**﴾، أي إننا نتشاءم منكم ونتوقع الشر في دعوتكم، فإن لم تنتهوا عنها فإننا لن نسكت عليكم، ولن ندعكم في دعوتكم، ولنرجمنكم ولنعذبنكم[31].

يقول سيد قطب: فالقول بالتشاؤم من دعوة أو من وجه هو خرافة من خرافات الجاهلية. والرسل يبينون لقومهم أنها خرافة، وأن حظهم ونصيبهم من خير ومن شر لا يأتيهم من خارج نفوسهم، إنما هو معهم، مرتبط بنواياهم وأعمالهم، متوقف على كسبهم وعملهم، وفي وسعهم أن يجعلوا حظهم ونصيبهم خيرًا أو أن يجعلوه شرًا، فإن إرادة الله بالعبد تنفذ من خلال نفسه، ومن خلال اتجاهه، ومن خلال عمله. وهو يحمل طائره معه، هذه هي الحقيقة الثابتة القائمة على أساس صحيح، أما التشاؤم بالوجوه، أو التشاؤم بالأمكنة، أو التشاؤم بالكلمات، فهو خرافة لا تستقيم على أصل مفهوم، وقالوا لهم: ﴿**أَئِنْ ذُكِّرْتُمْ**﴾، أترجموننا وتعذبوننا لأننا نذكركم، أفهذا جزاء التذكير، ﴿**بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُسْرِفُونَ**﴾،

تتجاوزون الحدود في التفكير والتقدير، وتجازون على الموعظة بالتهديد والوعيد، وتردون على الدعوة بالرجم والتعذيب، تلك كانت الاستجابة من القلوب المغلقة على دعوة الرسل[32].

تشاؤم آل فرعون

قال تعالى: ﴿**وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنِينَ وَنَقْصٍ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ * فَإِذَا جَاءَتْهُمُ الحَسَنَةُ قَالُوا لَنَا هَذِهِ وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا بِمُوسَى وَمَنْ مَعَهُ أَلَا إِنَّمَا طَائِرُهُمْ عِنْدَ اللهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ**﴾ (الأعراف:130 – 131).

إن الله –تعالى– أخذ آل فرعون بالجدب وضيق المعيشة، لعلهم يتذكرون ضعفهم أمام قوة الله وعجز ملكهم العالي الجبار وعجز آلهتهم، ليرجعوا عن ظلمهم لبنى إسرائيل ويجيبوا دعوة موسى –عليه السلام–، حيث دلت التجارب على أن الشدائد ترقّق القلوب وتهذب الطباع، وتوجه النفوس إلى مناجاة –الله سبحانه–، والعمل على مرضاته والتضرع له دون غيره من المعبودات متى اتخذوها وسائل إليه وشفعاء عنده، فإن لم تجدِ تلك المصائب في الرجوع إلى الله، وبلغ الأمر بالناس أن يشركوا به حتى في أوقات الشدائد، فهم في خسران مبين وضلال بعيد، وكذلك كان دأب آل فرعون بعد أن أنذرهم موسى عليه السلام[33].

قال الطبري: فإذا جاءت آل– فرعون العافيةُ والخصب والرخاء وكثرة الثمار، ورأوا ما يحبون في دنياهم قالوا: لنا هذه، نحن أولى بها، وإن يصبهم جدب وقحط وبلاء يتشاءموا ويقولوا: ذهبت حظوظنا وأنصباؤنا من الرخاء والخصب والعافية مذ جاءنا موسى عليه السلام[34]، ليس الشؤم بسبب موسى وقومه، وإنما بسبب سوء العمل، وبمقتضى النظام الإلهي في قانون السببية[35].

وقوله تعالى: ﴿**أَلَا إِنَّمَا طَائِرُهُمْ عِنْدَ اللهِ**﴾ (الأعراف:131)، استئنافٌ مَسوقٌ من قِبَله تعالى لردِّ مقالتِهم الباطلةِ وتحقيقِ الحقِّ في ذلك، وتصديرُه بكلمة التنبيهِ لإبراز كمالِ العنايةِ بمضمونِه أي ليس سببُ خيرِهم إلا عنده تعالى، وهو حكمُه ومشيئتُه المتضمنةُ للحِكَم والمصالحِ، أو ليس سبب شؤمِهم وهو أعمالُهم السيئةُ إلا عنده تعالى أي مكتوبةٌ لديه، فإنها التي ساقت إليهم ما يسوؤهم[36].

تشاؤم كفار قريش

قال تعالى: ﴿**وَإِنْ تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِ اللهِ وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِكَ قُلْ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ اللهِ فَمَالِ هَؤُلَاءِ القَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا**﴾ (النساء:78).

الحسنة المقصودة هنا هي الخصب، والسيئة هي الجدب، وقيل الحسنة: النصر، والظفر يوم بدر، والسيئة: الهزيمة والقتل يوم أحد، وعلى كل حال فإن معنى الآية: إن المسلمين إذا أصابتهم حسنة، قال الكفار: هذا من عند الله، وإن تصبهم سيئة قالوا: هذا من عندك، أي: بشؤمك؛ وذلك أن النبي لما قدم المدينة أصاب أهلها نوع سوء؛ فقالت اليهود: ما رأينا أشأم من هذا الرجل؛ منذ دخل ديارنا، قد غلت أسعارنا، ونقصت ثمارنا؛ وذلك بلية للمسلمين[37].

قال الرازي: اعلم أنه تعالى لما حكى عن المنافقين كونهم متثاقلين عن الجهاد، خائفين من الموت، غير راغبين في سعادة الآخرة، حكى عنهم في هذه الآية خصلة أخرى قبيحة أقبح من الأولى، وفي النظم وجه آخر، وهو أن هؤلاء الخائفين من الموت المتثاقلين في الجهاد من عادتهم أنهم إذا جاهدوا وقاتلوا فإن أصابوا واحدة وغنيمة قالوا: هذه من عند الله، وإن أصابهم مكروه قالوا: هذا من شؤم مصاحبة محمد –صلى الله عليه وسلم–، وهذا يدل على غاية حمقهم وجهلهم وشدة عنادهم[38].

وقد حمل الشوكاني القول على المنافقين حيث قال: "هذا وما بعده مختص بالمنافقين، أي: إن تصبهم نعمة نسبوها إلى الله تعالى، وإن تصبهم بلية ونقمة نسبوها إلى رسول الله –صلى الله عليه وسلم–، فرد الله ذلك عليهم بقوله: قل كل من عند الله، ليس كما تزعمون، ثم نسبهم إلى الجهل وعدم الفهم فقال: فمال هؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثًا، أي: ما بالهم هكذا"[39].

المبحث الثالث– أسباب التشاؤم:

للتشاؤم أسبابٌ كثيرة، أشار إليها القرآن الكريم، من أبرزها: الكفر، وسوء الظن بالله تعالى، والإسراف في المعاصي والآثام، والجهل والضلال، ووساوس الشيطان، والتقليد الأعمى، وفيما يأتي تفصيل ذلك.

المطلب الأول– الكفر:

من أهم أسباب التشاؤم الكفر، حيث جعل الله الطيرة والشرك لفظين لمعنى واحد، فعن عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله –صلى الله عليه وسلم–: **(**الطيرة شرك**)**[40]، وإنما جعل ذلك شركًا لاعتقادهم أن ذلك يجلب نفعًا أو يدفع ضرًا، فكأنهم أشركوه مع الله تعالى[41]، وقد جاء في مثل هذا آيات كثيرة من القرآن الكريم؛ قال تعالى: ﴿**أَلَا إِنَّمَا طَائِرُهُمْ عِنْدَ اللَّهِ**﴾ {الأعراف:131}، قال الزمخشري: "ألا إنما سبب شؤمهم عند الله وهو عملهم المكتوب عنده الذي يجرى عليهم ما يسوؤهم

لأجله، ويعاقبون له بعد موتهم بما وعدهم الله في قوله سبحانه: ﴿**النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ**﴾ (غافر:46)، ولا طائر أشأم من هذا"[42].

قال البقاعي: ﴿**أَلَا إِنَّمَا طَائِرُهُمْ عِنْدَ اللهِ**﴾ أي ما تيمنون به فيثمر ما يسركم، أو تتشاءمون به فينشأ عنه ما يسوؤكم، وهو عملكم من الخير أو الشر عند الله الملك الأعظم المحيط بكل شيء علماً وقدرة، وليس شيء منه بيد غيره ولا ينسب إليه، فإن شاء جعلنا سببه وإن شاء جعل غيرنا[43]؛ فإن المسلم على يقين تام بأن الأمر كله بيد الله، وأن من تشاءم من الأنبياء والرسل، ونسب إليهم الشر، لاشك أنه قد كفر، ومن أنكر معلومًا من الدين بالضرورة فقد كفر.

وقد عدَّ البيضاوي التطير من سوء العقيدة، حيث قال في تفسير قوله تعالى: ﴿**قَالُوا طَائِرُكُمْ مَعَكُمْ**﴾ (يس:19): قالُوا طائِرُكُمْ مَعَكُمْ سبب شؤمكم معكم وهو سوء عقيدتكم وأعمالكم[44]، وقال ابن كثير: "من أجل أنا ذكرناكم وأمرناكم بتوحيد الله وإخلاص العبادة له، قابلتمونا بهذا الكلام، وتوعدتمونا وتهددتمونا"[45]، ويقول الرازي: "قالوا طائركم معكم أي شؤمكم معكم وهو الكفر"[46].

المطلب الثاني- سوء الظن بالله تعالى:

إن من أهم أسباب التشاؤم لدى الإنسان، سوء الظن بالله؛ فالذي يحسن ظنه بربه دائم التفاؤل، ودائم الرضا، لا يسخط ولا يغضب، حتى عند نزول البلاء؛ عن صهيب، قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: "**عجبًا لأمر المؤمن، إن أمره كله خير، وليس ذاك لأحد إلا للمؤمن، إن أصابته سراء شكر، فكان خيرًا له، وإن أصابته ضراء، صبر فكان خيرًا له**"[47]، والذي يتشاءم من شخص أو زمن أو غيره، وينسى أن الله هو مقدر الأمور، ويلقى اللوم على هذا وعلى ذاك -تطيرًا وتشاؤمًا- فقد ظن بالله ظن السوء ولم يحسن الظن به، ويرجع الأمر له في السراء والضراء، فالطيرة سوء ظن بالله -عز وجل-، وصرف شيء من حقوقه عز وجل لغيره، وتعلق للقلوب بمخلوق لا ينفع ولا يضر، والفأل حسن الظن بالله -سبحانه وتعالى-، والرسول -صلى الله عليه وسلم- إنما كان يعجبه الفأل؛ لأن التشاؤم سوء ظن بالله تعالى بغير سبب محقق، والتفاؤل حسن ظن به عز وجل، والمؤمن مأمور بحسن الظن بالله تعالى على كل حال[48].

قال تعالى: ﴿**وَطَائِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنْفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِاللهِ غَيْرَ الحَقِّ ظَنَّ الجَاهِلِيَّةِ يَقُولُونَ هَلْ لَنَا مِنَ الأَمْرِ مِنْ شَيْءٍ قُلْ إِنَّ الأَمْرَ كُلَّهُ للهِ**﴾ (آل عمران:154)، فهذه الطائفة لم تتيقن بأن الأمر كله لله، فقد تسلل التشاؤم وسوء الظن إلى أنفسهم، ونتيجة سوء الظن بالله يخبرنا بها الله تعالى في قوله:

﴿**وَذَلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنْتُمْ بِرَبِّكُمْ أَرْدَاكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ مِنَ الخَاسِرِينَ**﴾ (فصِّلت:23)، فإن ظنكم بأن الله لا يعلم كثيرًا مما تعملون، أهلككم وطرحكم في النار، فأصبحتم من الخاسرين[49].

يقول ابن القيم: إن أعظم الذنوب عند الله إساءة الظن به، فإن المسيء به الظن قد ظن به خلاف كماله المقدس، وظن به ما يناقض أسماءه وصفاته، ولهذا توعد الله سبحانه الظانين به ظن السوء بما لم يتوعد به غيرهم، كما قال تعالى: ﴿**وَيُعَذِّبَ المُنَافِقِينَ وَالمُنَافِقَاتِ وَالمُشْرِكِينَ وَالمُشْرِكَاتِ الظَّانِّينَ بِاللهِ ظَنَّ السَّوْءِ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ وَغَضِبَ اللهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا**﴾ (الفتح:6)[50].

وقال في كتاب مفتاح دار السعادة: وقد يجعل الله سبحانه تطير العبد وتشاؤمه سببًا لحلول المكروه به، كما يجعل الثقة والتوكل عليه، وإفراده بالخوف والرجاء من أعظم الأسباب التي يدفع بها الشر المتطير به، وسرّ هذا أن الطيرة إنما تتضمن الشرك بالله تعالى، والخوف من غيره، وعدم التوكل عليه، والثقة به، فكان صاحبها غرضًا لسهام الشر والبلاء فيتسرع نفوذها فيه؛ لأنه لم يتدرع من التوحيد والتوكل بجنة واقية، وكل من خاف شيئًا غير الله سلط عليه، كما أن من أحب مع الله غيره عذب به، ومن رجا مع الله غيره خذل من جهته، وهذه أمور تجربتها تكفي عن أدلتها[51].

المطلب الثالث– الإسراف في المعاصي والآثام:

الإسراف على الأنفس بالمعاصي والآثام مدخل للشيطان، يجعل الإنسان متشائمًا من كل شيء، حتى يوصله في النهاية إلى القنوط من رحمة الله؛ قال تعالى: ﴿**قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللهِ إِنَّ اللهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الغَفُورُ الرَّحِيمُ**﴾ (الزُّمر:53)، قال القاسمي: أي جنوا عليها بالإسراف في المعاصي والكفر... لا تيأسوا من مغفرته بفعل سبب يمحو أثر الإسراف: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا﴾ لمن تاب وآمن؛ فإنَّ الإسلام يجبُّ ما قبله[52]، وقد أسرفوا بارتكاب الكبائر والفواحش. وهذه الآية نزلت في قومٍ من أهل مكَّة همُّوا بالإسلام، ثمَّ قالوا: إنَّ محمداً يقول: إنَّ مَنْ عبد الأوثان واتَّخذ مع الله آلهةً وقتل النَّفس لا يُغفر له، وقد فعلنا كلَّ هذا، فأعلمهم الله تعالى أنَّ مَنْ تاب وآمن غفر الله له كلَّ ذنب عدا الشرك[53].

ولقد ظهر الإسراف واضحًا جليًا في قصة أصحاب القرية، حيث أرجع المرسلون سبب تشاؤمهم وتطيرهم إلى إسرافهم في المعاصي والآثام، قال تعالى على لسان المرسلين: ﴿**قَالُوا طَائِرُكُمْ مَعَكُمْ**

أَئِنْ ذُكِّرْتُمْ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُسْرِفُونَ﴾(يس:19)، يقول الطبري: قالوا لهم: ما بكم التطير بنا، ولكنكم قومٌ أهلُ معاصٍ لله وآثامٍ، قد غلبت عليكم الذنوب والآثام[54].

طائركم معكم: أي شؤمكم معكم حيث جرى ذكركم، وإذا شئم المكان بذكرهم كان بحلولهم فيه أشأم، بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُسْرِفُونَ في العصيان: ومن ثم أتاكم الشؤم، لا من قبل رسل الله وتذكيرهم، أو بل أنتم قوم مسرفون في ضلالكم متمادون في غيكم، حيث تتشاءمون بمن يجب التبرك به من رسل الله[55].

ويقول الرازي: "والمسرف هو المجاوز الحدّ، بحيث يبلغ الضد، وهم كانوا كذلك في كثير من الأشياء، أما في التبرك والتشاؤم فقد علم"[56].

المطلب الرابع- الجهل والضلال:

الجهل آفة عظيمة، تجلب الضلال والإضلال، فمن جهل معنى التوكل على الله، وجهل أن مقاليد الأمور بيد الله، يصرفها كما يشاء، يكون أكثر الناس عرضة للتفكير السلبي، والذي يجره إلى التطير والتشاؤم من كل شيء، حتى من الحياة نفسها، قال تعالى: ﴿**فَإِذَا جَاءَتْهُمُ الحَسَنَةُ قَالُوا لَنَا هَذِهِ وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا بِمُوسَى وَمَنْ مَعَهُ أَلَا إِنَّمَا طَائِرُهُمْ عِنْدَ اللهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ**﴾ (الأعراف:131).

فقوم فرعون خلطوا بين الأمور خيرها وشرها، فإن جاءهم الخير، فرحوا واستبشروا، وقالوا: لنا هذه، ولكنهم إذا أصابهم الشر تشاءموا من موسى ومن معه، ونسوا أن أمرهم كله وما أصابهم وما سيصيبهم إنما هو عند الله، وقد أخبرنا الله تعالى عن سبب خلطهم هذا، ألا وهو الجهل الذي جرهم إلى الضلال والإضلال، وإلى هذا الأمر ذهب المفسرون؛ قال المراغي: إن كل ما يصيبهم من خير أو شر فهو بقضاء الله وتقديره، وهو الذي وضع لنظام الكون سننًا تكون فيه المسببات وفق أسبابها، وبمقتضى هذه السنن والأقدار ينزل عليهم البلاء، ويكون امتحانًا واختبارًا لهم؛ ليتوبوا ويرجعوا عن ظلمهم وبغيهم على بنى إسرائيل، وعن طغيانهم وإسرافهم في جميع أمورهم، ولكن أكثرهم لا يعلمون حكمة تصرف الخالق في هذا الكون ولا أسباب الخير والشر، ولا أن كل شيء فيه جاء بمشيئته وتدبيره[57].

وإلى هذا المعنى ذهب الرازي فقال: بيّن تعالى أنهم عند نزول المحن عليهم يقدمون على ما يزيد في كفرهم ومعصيتهم، فقال: ﴿**فَإِذَا جَاءَتْهُمُ الحَسَنَةُ قَالُوا لَنَا هَذِهِ**﴾، قال ابن عباس: يريد بالحسنة العشب والخصب والثمار والمواشي والسعة في الرزق والعافية والسلامة، ﴿**قَالُوا لَنَا هَذِهِ**﴾

أي نحن مستحقون على العادة التي جرت من كثرة نعمنا وسعة أرزاقنا، ولم يعلموا أنه من الله؛ فيشكروه عليه، ويقوموا بحق النعمة فيه. وقوله: ﴿**وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ**﴾ يريد القحط والجدب والمرض والضر والبلاء، ﴿**يَطَّيَّرُوا بِمُوسَى وَمَنْ مَعَهُ**﴾ أي يتشاءموا به. ويقولوا: إنما أصابنا هذا الشر بشؤم موسى وقومه، والتطير التشاؤم في قول جميع المفسرين، ﴿**أَلَا إِنَّمَا طَائِرُهُمْ عِنْدَ اللهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ**﴾، واعلم أن كل ما يصيبهم من خير أو شر فهو بقضاء الله تعالى وبتقديره، ولكن أكثرهم لا يعلمون، أن الكل من الله تعالى[58].

المطلب الخامس– وساوس الشيطان:

إن الشيطان من ألد أعداء الإنسان، فمهمته الأساسية هي غواية الإنسان وجرّه إلى النار وبئس المصير، وقد جرت سنة الله تعالى في خلقه أن يبتليهم ويختبرهم، وذلك بعد أن بيّن لنا الطريق القويم، وحذرنا من وسوسة الشياطين؛ ومن أهم الطرق التي يسلكها الشيطان لتحقيق مآربه هي إدخال الحزن والشؤم على قلب الإنسان، قال تعالى: ﴿**إِنَّمَا النَّجْوَى مِنَ الشَّيْطَانِ لِيَحْزُنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَيْسَ بِضَارِّهِمْ شَيْئًا إِلَّا بِإِذْنِ اللهِ وَعَلَى اللهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ**﴾ (المجادلة:10)، قال البغوي: إنما النجوى من الشيطان، أي من تزيين الشيطان، وإنما يزينه لهم ذلك ليحزن المؤمنين، وليس التناجي بضارهم شيئًا، وقيل: ليس الشيطان بضارهم شيئًا، إلا بإذن الله وعلى الله فليتوكل المؤمنون[59].

فمهمة الشياطين هي الوسوسة للناس الذين هم أولياؤهم، قال تعالى: ﴿**وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَى أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ**﴾ (الأنعام:121)، وَإِنَّ الشَّياطِينَ لَيُوحُونَ: ليوسوسون إلى أَوْلِيائِهِمْ من الكفار[60].

وهذا نبي الله صالح –عليه السلام–، وسوس الشيطان لقومه حتى أصبح نبييهم مصدر شؤمٍ لهم، وقد ابتلاهم الله واختبرهم بذلك الأمر، فقد طلبوا منه معجزة، وجاء الأمر كما أرادوا وكما طلبوا تمامًا، فكفروا وجحدوا، وأصبحوا يتطيرون به وبمن معه من المؤمنين، قال تعالى: ﴿**قَالُوا اطَّيَّرْنَا بِكَ وَبِمَنْ مَعَكَ**﴾ (النمل:47)، قالوا: ما رأينا على وجهك ووجوه من اتبعك خيرًا، وذلك أنهم –لشقائهم– كان لا يصيب أحدًا منهم سوء إلا قال: هذا من قبل صالح وأصحابه[61]، ﴿**بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تُفْتَنُونَ**﴾ قال الزمخشري: "يفتنكم الشيطان بوسوسته إليكم الطيرة"[62]، وعند الطبري: بل أنتم قوم تُختبرون، يختبركم ربكم إذ أرسلني إليكم، أتطيعونه، فتعملون بما أمركم به، فيجزيكم الجزيل من ثوابه، أم

تعصونه بخلافه، فيحلّ بكم عقابه[63]، وأكد الشوكاني ما سبق فقال: أي يفتنكم الشيطان بما تقعون فيه من الطيرة، أو بما لأجله تطيرون[64].

المطلب السادس- التقليد:

إن من أسباب الضلال عند الكافرين من الأولين والآخرين تقليد الآباء، دون نظر أو فكر، فالتقليد "هو أخذ قول الغير والعمل به من غير حجة للمقلد، وإنما هو اعتماد على قول مقلده وقصر على منطوقه ومفهومه بلا نظر في دليله"[65]، ويعد التقليد من أكبر مسائل الجاهلية؛ فدينهم مبني على أصول أعظمها التقليد، وهو القاعدة الكبرى لجميع الكفار أولهم وآخرهم، كما قال تعالى: ﴿**وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِمْ مُقْتَدُونَ**﴾ (الزُّخرف:23)، وقال تعالى: ﴿**وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ الشَّيْطَانُ يَدْعُوهُمْ إِلَى عَذَابِ السَّعِيرِ**﴾ (لقمان:21)، فأتاهم بقوله: ﴿**قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُمْ بِوَاحِدَةٍ أَنْ تَقُومُوا للهِ مَثْنَى وَفُرَادَى ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِكُمْ مِنْ جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ**﴾ (سبأ:46)، وبقوله تعالى: ﴿**اتَّبِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ**﴾(الأعراف:3)[66].

لقد كانت حجة الكافرين بالله المعرضين عن الانتفاع بالآيات التي جاءهم بها الأنبياء، قولهم: ﴿**بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِمْ مُهْتَدُونَ**﴾ (الزُّخرف:22)، وهي مقولة تدعو إلى السخرية، فوق أنها متهافتة لا تستند إلى قوة إنها مجرد المحاكاة ومحض التقليد، بلا تدبر ولا تفكر ولا حجة ولا دليل، وهي صورة مزرية تشبه صورة القطيع حيث هو منساق ولا يسأل أين يمضي ولا يعرف معالم الطريق[67]، إنها: طبيعة الجمود العقلي الذي تطبعه الوثنيات في العقول، لا يفكر أصحابها فيما يعبد آباؤهم، ما قيمته؟ وما حقيقته؟ وماذا يساوي في معرض النقد والتفكير[68].

ومن الأقوام التي حدثنا القرآن الكريم عنها، وكان من أسباب ضلالها تقليد الآباء: قوم نوح عليه السلام الذين قابلوا دعوة نبيهم بالرفض والجحود بدون دليل أو سند، سوى أنهم لم يسمعوا بمثل دعوته في آبائهم الأولين، وكأن الحجة والدليل هو ما سمعوه من آبائهم.

وقال تعالى: ﴿**وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ * فَقَالَ المَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُرِيدُ أَنْ يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ وَلَوْ شَاءَ اللهُ لَأَنْزَلَ مَلَائِكَةً مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي آبَائِنَا الأَوَّلِينَ**﴾ (المؤمنون:23 – 24).

وقوم عاد يعجبون مما ليس منه عجب، وينكرون على نبيهم أن يأتيهم بعبادة الله الواحد، ونبذ عبادة الآلهة المتفرقة التي كان يعبدها آباؤهم الأولون، فيسألون منكرين: ﴿**قَالُوا أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ اللهَ وَحْدَهُ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ**﴾ (الأعراف:70)، وبنفس العلة والحجة رفضت ثمود دعوة أخيهم ونبيهم صالح عليه السلام، وجعلوا ما عليه آباؤهم –سواء أكانوا سابقين أم حاضرين– حجة تمنعهم من الإيمان، ﴿**وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُجِيبٌ * قَالُوا يَا صَالِحُ قَدْ كُنْتَ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَذَا أَتَنْهَانَا أَنْ نَعْبُدَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا وَإِنَّنَا لَفِي شَكٍّ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ**﴾ (هود:61 – 62)، وكذلك قوم إبراهيم أصروا على عبادة التماثيل التي لا تضر ولا تنفع، ولا يجدون جواباً لسؤال نبيهم: ﴿**إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنْتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ**﴾ (الأنبياء:52) إلا أن قالوا: ﴿**قَالُوا وَجَدْنَا آبَاءَنَا لَهَا عَابِدِينَ**﴾ (الأنبياء:53)، هذا هو الجواب، وهو جواب يدلّ على التحجر العقلي والنفسي داخل قوالب التقليد، في مقابلة حرية الإيمان وانطلاقه للنظر والتدبر، وتقويم الأشياء والأوضاع بقيمتها الحقيقية لا التقليدية، فالإيمان بالله يحرر الإنسان من الأوهام التقليدية والوراثات المتحجرة التي لا تقوم على دليل[69].

وأما كفار قريش فقد قال تعالى حاكياً أقوالهم: ﴿**وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنْزَلَ اللهُ وَإِلَى الرَّسُولِ قَالُوا حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ**﴾ (المائدة:104)، وقال أيضًا: [**أَمْ آتَيْنَاهُمْ كِتَابًا مِنْ قَبْلِهِ فَهُمْ بِهِ مُسْتَمْسِكُونَ * بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِمْ مُهْتَدُونَ**﴾ (الزُّخرف:21 – 22).

فاتباع الآباء واقتفاء آثار السابقين من الذين هداهم الله عن بينة ودليل هو سبيل الهداية، كما قال تعالى بعد أن ذكر أنبياءه الذين هداهم: إبراهيم وإسحاق ويعقوب ونوحًا وداود وسليمان وأيوب ويوسف وموسى وهارون وزكريا ويحيى وعيسى وإلياس وإسماعيل واليسع ويونس، ولوطاً، ومن آبائهم وذرياتهم، قال تعالى: ﴿**أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهِ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرَى لِلْعَالَمِينَ**﴾ (الأنعام:90)، وأما اتباع الأبناء للآباء والأجداد وتقليدهم والتمسك بآرائهم، ومحاكاتهم في كل أقوالهم وأعمالهم من غير بينة ولا حجة ظناً منهم على الحق، دون النظر في أدلة من يدعوهم إلى الهدى، ويقيم الدلائل والبينات على صحة ما يدعون إليه وهو الضلال، وهو سبيل الكافرين، وعلة الإعراض عن الإيمان بالله والسير على طريق الهدى الذي ارتضاه للناس[70].

المبحث الرابع- نسبة المصائب إلى أشخاص:

لقد اعتاد الناس ذوو الاتجاه السلبي في التفكير، والذين يطلق عليهم المتشائمون، أن يسقطوا ما في نفسياتهم المريضة المتعثرة على أشخاصٍ بعينهم، وينسبوا لهم ما يحلّ بهم من أقدار الله تطيرًا وشؤمًا، ولا يرتبط حال ذلك الشخص بالصلاح أو الفساد؛ بمعنى أنه ليس بالضرورة أن يكون الشخص الذي يتشاءمون منه رجلًا فاسدًا أو سيء الخلق أو ما شابه، بل على العكس تمامًا؛ فقد أخبرنا القرآن الكريم أن هؤلاء المتشائمين أصحاب النفوس المريضة، تشاءموا من الرسل والأنبياء والصالحين، وهذا التفكير السلبي طال حتى علماء الجرح والتعديل، فقد تشاءموا من الإمام أبي حنيفة -رحمه الله-. وأمر التشاؤم قديم حتى في الجاهلية، فقد جرت بها الأمثال، وبيان ذلك فيما يأتي:

-**تشاؤم ثمود من نبيهم صالحٍ عليه السلام:** قال تعالى: ﴿**قَالُوا اطَّيَّرْنَا بِكَ وَبِمَنْ مَعَكَ قَالَ طَائِرُكُمْ عِنْدَ اللهِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تُفْتَنُونَ**﴾ (النمل:47)، قالت ثمود لرسولها صالح: تشاءمنا بك وبمن معك من أتباعنا، وزجرنا الطير بأنا سيصيبنا بك وبهم المكاره والمصائب[71]، قال الرازي: إن صالحًا عليه السلام لما قرر الكلام الحق أجابوه بكلام فاسد، وهو قولهم: اطيرنا بك، أي تشاءمنا بك؛ لأن الذي يصيبنا من شدة وقحط فهو بشؤمك وبشؤم من معك[72].

-**تشاؤم أصحاب القرية من أنبيائهم:** قال تعالى: ﴿**وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ إِذْ جَاءَهَا الْمُرْسَلُونَ * إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ فَقَالُوا إِنَّا إِلَيْكُمْ مُرْسَلُونَ * قَالُوا مَا أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا وَمَا أَنْزَلَ الرَّحْمَنُ مِنْ شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ * قَالُوا رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّا إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ * وَمَا عَلَيْنَا إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ * قَالُوا إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ لَئِنْ لَمْ تَنْتَهُوا لَنَرْجُمَنَّكُمْ وَلَيَمَسَّنَّكُمْ مِنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ * قَالُوا طَائِرُكُمْ مَعَكُمْ أَئِنْ ذُكِّرْتُمْ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُسْرِفُونَ**﴾ (يس: 13-19). فقد أسقطوا تفكيرهم السلبي المتشائم على أنبيائهم، والذي تمثل بقولهم: إننا نتشاءم منكم ونتوقع الشر في دعوتكم، فإن لم تنتهوا عنها فإننا لن نسكت عنكم، ولن ندعكم في دعوتكم، ولنرجمنكم ولنعذبنكم[73]. وقد أدرك أنبياؤهم ذلك التفكير السلبي المريض، فقالوا لهم: ﴿**أَئِنْ ذُكِّرْتُمْ**﴾، أترجموننا وتعذبوننا لأننا نذكركم، أفهذا جزاء التذكير، ﴿**بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُسْرِفُونَ**﴾، تتجاوزون الحدود في التفكير والتقدير، وتجاوزون على الموعظة بالتهديد والوعيد، وتردون على الدعوة بالرجم والتعذيب، تلك كانت الاستجابة من القلوب المغلقة على دعوة الرسل[74].

-**تشاؤم آل فرعون من نبيهم موسى عليه السلام ومن معه من المؤمنين**؛ قال تعالى: ﴿**فَإِذَا جَاءَتْهُمُ الحَسَنَةُ قَالُوا لَنَا هَذِهِ وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا بِمُوسَى وَمَنْ مَعَهُ أَلَا إِنَّمَا طَائِرُهُمْ عِنْدَ اللهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ**﴾ (الأعراف:131)، فها هم يقولونها بملء أفواههم مسقطين شعورهم المتشائم السلبي، كما يقول الطبري: يتشاءمون، ويقولون: ذهبت حظوظنا وأنصباؤنا من الرخاء والخصب والعافية، مذ جاءنا موسى عليه السلام[75].

- **تشاؤم كفارُ قريش من خير البشر محمد صلى الله عليه وسلم**، قال تعالى: ﴿**وَإِنْ تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِ اللهِ وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِكَ قُلْ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ اللهِ فَمَالِ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا**﴾(النساء:78).

وقد حمل الشوكاني القول على المنافقين، حيث قال: "هذا وما بعده مختص بالمنافقين، أي: إن تصبهم نعمة نسبوها إلى الله تعالى، وإن تصبهم بلية ونقمة نسبوها إلى رسول الله –صلى الله عليه وسلم–، فرد الله ذلك عليهم بقوله: قل كل من عند الله ليس كما تزعمون، ثم نسبهم إلى الجهل وعدم الفهم، فقال: فما لهولاء القوم لا يكادون يفقهون حديثًا، أي: ما بالهم هكذا"[76].

-**تشاؤم الناس من الذي عقر ناقة صالح**، فقد ضربت العرب المثل بقدار في الشؤم، فقالوا: أشأم من قدار، وقالوا: أشأم من عاقر الناقة، وكان أشقر أزرق، وقد وصفه الله بالشقاء، فقال: ﴿**إِذِ انْبَعَثَ أَشْقَاهَا**﴾ (الشمس:12)، فقد كذبت ثمود بسبب طغيانهم حين انبعث أشقاها وهو عاقر الناقة، وهو شخص اسمه قدار بن سالف، ويضرب به المثل بالشؤم[77]، ويقال أيضًا: أشأم من أحمر عاد، حيث قال تعالى: ﴿**فَنَادَوْا صَاحِبَهُمْ فَتَعَاطَى فَعَقَرَ**﴾ (القمر:29)، وهو قدار بن سالف، ويطلق عليه أحمر ثمود، وفي المثل: أشأم من أحمر عاد على قومه، وإنما قيل: عاد، لأن ثمود من نسب عاد[78].

-**تشاؤم أهل الجرح والتعديل من الإمام أبي حنيفة**، فقد دعاهم تفكيرهم السلبي وعدم إدراك فقه أبي حنيفة أن يعتبروه شؤمًا على الإسلام والمسلمين؛ فقد كان الأوزاعي وسفيان يقولان: ما ولد في الإسلام على هذه الأمة أشأم من أبي حنيفة، وكَيف تَأْخُذُون دينَكُم عن رَجُل قَد خُذِل في عُظم دينِه[79]، ولكن من الأمور البدهية عند طلاب العلم أن قدح الند في نده أمر لا يقبل على علاته، بل قد يرد نظرًا للندية.

-**تشاؤم الناس من طويس،** "وكان أحول، مفرطًا في الطول"[80]، وقد ضرب به المثل؛ فقيل: أشأم من طويس، فهو أول من غنّى في الإسلام الغناء الرقيق، وكان اسمه طاووس، ولما تخنث صغروه، وضرب به المثل في المدينة المنورة بالشآمة، فقيل: أشأم من طويس، فقد كَانَ يَقُول: إِن أُمِّي كَانَت تمشي بالتمائم بَين نسَاء الْأَنْصَار، ثمَّ ولدتني فِي اللَّيْلَة الَّتِي مَاتَ فِيهَا رَسُولِ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسلم-، وفطمتني يَوْم مَاتَ أَبُو بكر، وَبَلغت الْحلْمَ يَوْم مَاتَ عمر، وَتَزَوَّجت يَوْم قتل عُثْمَان، وَولد لي يَوْم قتل عَليّ، فَمن مثلي[81].

المبحث الخامس- آثار التشاؤم:

إن الاسلام إذا نهى عن شيء، فإنما ينهى عنه لما فيه من الضرر العظيم، والشرّ العميم الذي يلحق بمن ارتكب هذا المنهيّ عنه، وإن كانت الحكمة من ذلك لا يعلمها إلا الله، ولكنَّ هناك أضرارًا ملموسة، وآثارًا محسوسة يدركها الإنسان من جراء ارتكاب ما نهى الله عنه، ولما كان التشاؤم له كثير من الأضرار التي تلحق بالمتشائمين؛ جاء الشارع بذمّه وإبطاله رحمة بالمكلّفين، ويمكن إجمال الآثار المترتبة على التشاؤم بما يأتي:

أولاً- آثار نفسية:

-الكدر والعنت في الحياة، فالمتشائم متعب القلب، منكد الصدر، كاسف البال، سيء الخلق، يتخيل من كل من يراه أو يسمعه، أشد الناس خوفًا، وأنكدهم عيشًا، وأضيق الناس صدرًا، وأحزنهم قلبًا، كثير الاحتراز والمراعاة لما لا يضره ولا ينفعه.

- ضعف الهمة وخورها: لأن الذي لا يرى إلا الفشل ولا يفكر إلا بالخيبة، سينتهي حتمًا ويتوقف عن كل نشاط، وتتحول همته إلى الدناءات، والجزع، والشعور بالكسل، وسيحرم نفسه الكثير من الخيرات والفوائد.

ثانياً- آثار اجتماعية:

-النظرة الحادة للناس، حيث ينظر للآخرين نظرة قاسية، يحكم عليهم بناء على سوء ظنه بهم، دون تحرٍ للعدالة والإنصاف، فيعمى عن جدهم واجتهادهم وجميع حسناتهم، وينسج حولهم بخياله ما يشتهيه من الأخطاء والنقائص، ويحمل كلامهم تفسيرات من نفسه ليس لها أصول ولا متعلقات، ويعد نفسه دائمًا هو الضحية.

-العزلة والانطواء عن مجالسة الناس والاختلاط معهم.

-مراقبة الناس وحسدهم على ما آتاهم الله من الخيرات، ومن راقب الناس مات غَمَاً.

-يتصور المتشائم أن الأمة كل الأمة مشغولة به وبإلحاق الضرر به، وأن الناس يخططون لإيذائه، فيتخلق بالخلق السيء من الحقد والحسد والبغضاء، وحبّ الأذى للآخرين، والتخريب والغيرة.

ثالثاً- آثار اقتصادية:

-المتشائم دائمًا في المؤخرة، لا يرتقي نحو تحسين أحواله، وتصحيح مفاهيمه، ومعرفة نقاط الضعف من القوة في جميع تصرفاته، فإذا فشل في تجارة أو أصيب بمصيبة أو تجمد في وظيفة؛ أرجع هذا كله لسوء الحظ، وبالتالي لا يرجع إلى نفسه، حيث بإمكانه أن يصحح مسارها، ويتدارك ما قصر فيه، بل يبقى كئيبًا عاجزًا، في مؤخرة الركب، لا يعرف التطور، ولا يرغب في التغيير، ولا يسعى لمعرفة الأسباب؛ فضلاً أن يأخذ بها.

-سوء الإنتاج، وضعفه، بسبب الكسل والحسد وعدم القدرة على بذل الجهد والتغيير.

رابعاً- آثار صحية:

-ضعف البدن، فالمتشائم يهزل ويضعف؛ لأنه يأكل نفسه بنفسه، حسرةً وحسدًا، ويرى أنه لا فائدة من المعالجة، أو مقاومة أدواء النفس، وهذا الهزل والضعف بدوره يؤثر على الصحة والقلب والأعصاب.

-يقوم المتشائم غالبًا بإيذاء من حوله نتيجة تضايقه وغضبه، فقد يضربهم أو يعتدي عليهم.

خامساً- آثار دينية:

-يفسد التطير على الإنسان دينه، فيفتح عليه باب الوساوس، والشيطان فيما يسمعه، أو يراه. قال ابن القيم -رحمه الله: "واعلم أن من كان مُعتنيًا بها قائلاً بها -يعني الطيرة- كانت إليه أسرعَ من السّيل إلى منحدره، وتفتَّحت له أبواب الوساوس فيما يسمعه ويراه ويُعطاه، ويفتح له الشيطان فيها من المناسبات البعيدة والقريبة في اللفظ والمعنى ما يفسد عليه دينه وينكّد عليه عيشه؛ فإذا سمع سفرجلاً، أو أُهدي إليه تطيّر به، وقال: سفرٌ وجلاءٌ، وإذا رأى ياسمينًا أو سمع اسمه تشاءم به، وقال: يأسٌ وَمينٌ، وإذا رأى سوسنة أو سمعها، قال: سوءٌ يبقى سنةً، وإذا خرج من داره فاستقبله أعور أو أشل أو أعمى أو صاحب آفةٍ؛ تطيّر به وتشاءم بيومه"[(82)].

-أنَّه يُنقص الإيمان، ويضعف اليقين، ويضادُّ التوكل، فيصبح صاحبه عبدًا للخزعبلات والخرافات.

-أنَّه ابتداع في الدين، وقول على الله بلا علم، وذلك أن صاحبه جعل من الأسباب ما لا دليل عليه من الوحي ولا من الحس، قال ابن تيمية -رحمه الله- "لا يجوز أن يعتقد أن الشيء سبب إلا بعلم، فمن أثبت شيئًا سببًا بلا علم أو يخالف الشرع؛ كان مبطلاً، مثل من يظن أن النذر سبب في دفع البلاء وحصول النعماء"[83].

-نفق يقوده إلى الشرك بالله تعالى. قال ابن القيم: "التطير هو التشاؤم من الشيء المرئي أو المسموع، فإذا استعملها الإنسان فرجع بها من سفره وامتنع بها مما عزم عليه؛ فقد قرع باب الشرك، بل ولجه وبرئ من التوكل على الله، وفتح على نفسه باب الخوف والتعلق بغير الله. والتطير مما يراه أو يسمعه، وذلك قاطع له عن مقام (إياك نعبد وإياك نستعين)، واعبده وتوكل عليه وإليه أنيب، فيصير قلبه متعلقًا بغير الله عبادة وتوكلاً؛ فيفسد عليه قلبه وإيمانه"[84].

سادساً- آثار علمية:

-يصور المتشائم المحن والفشل حالة دائمة من خلال حواره السلبي مع نفسه، والذي يعززه باستمرار بقوله: "أنا فاشل"، ويعد النجاح الذي حصل له مجرد حالة عرضية لا يمكن أن تكرر ثانية، وأن ما وصل اليه مجرد حدث عابر بقوله: "لا أعرف كيف حدث هذا"، بخلاف المتفائل الذي يصور النجاح حالة دائمة تعود إلى العمل الجاد[85].

-الشعور بالفشل الدائم لا شك يقود إلى الجهل، والخرافة، فيصبح المتشائم إنسانًا جاهلاً متخلفًا سلبيًا، لا يمتلك القدرة لفعل أي شيء بقوله: "أنا غبيّ، ليس لدي أي أمل".

وهكذا يبقى المتشائم هدفًا لسهام الطيرة، ويساق إليه من كل أوب، ويقيض له الشيطان من ذلك ما يفسد عليه دينه ودنياه، وكم هلك بذلك وخسر الدنيا والآخرة، فأين المتشائم من الفأل الصالح السارّ للقلوب، المؤيد للآمال، الفاتح لباب الرجاء، المسكن للخوف، الرابط للجأش، الباعث على الاستعانة بالله والتوكل عليه، والاستبشار المقوي لأمله السار لنفسه، الباعث على حبّ الناس، وحسن الظن بهم، الذي يؤدي الى مواجهة الصعاب، وتحسين الإنتاج، فهذا ضدّ الطيرة، فالفأل يفضي بصاحبه إلى الطاعة والتوحيد، والطيرة تفضي بصاحبها إلى المعصية والشرك؛ فلهذا استحب الفأل وأبطل الطيرة[86].

المبحث السادس- علاج التشاؤم:

من رحمة الله تعالى بعباده أنه ما أنزل من داء إلا جعل له دواء، ولا شك أن التشاؤم داء عظيم، والواجب على من أصيب به أن يأخذ بأسباب دفعه وعلاجه، والتي مبناها على الإيمان بالقضاء والقدر، وحسن الظن بالله، وجميل التوكل عليه، والعلم النافع، ومصاحبة المتفائلين، والدعاء، والفأل الحسن. وفيما يأتي تفصيل ذلك:

المطلب الأول- الإيمان بالقضاء والقدر:

إن الإيمان بالقضاء والقدر وضرورة الرّضا بالمقدور والتأكيد على ركنيّته، أمر مهمّ، فهو ليس سنّة مستحبّة ولا مجرّد واجبٍ مطلوب، بل هو سادس ركنٍ من أركان الإيمان، لا يتمّ إيمان العبد إلا به، ومن خلاله نؤمن بعلم الله الأزلي الواسع، الذي أحاط بكل شيءٍ علمًا، وأنه لا يعزب عنه مثقال ذرّة في السماوات ولا في الأرض، وبأنّ الله -سبحانه وتعالى- كتب مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة، وأمر القلم أن يكتب كلّ ما سيحدث حتى قيام الساعة، وأنه لا يقع شيء في الكون إلا بمشيئته وإرادته -سبحانه وتعالى-، ولا يكون في ملكه إلا ما يريد، فما شاء كان وما لم يشأ لم يكن، وأن نؤمن بأن الله تعالى خالق كل شيء، وأنه هو الذي يُدبّر الأمور ويُصرّف الأقدار، كما دلت على ذلك النصوص الشرعيّة الكثيرة.

فإذا تكاملت هذه الصورة؛ أورثت العبد القدرة على مواجهة المصائب والأحداث، فلا يستسلم أو ينهار، ولا تضعف نفسه أو يعيش رهن المخاوف، ولا يجد الهلع إليه سبيلاً، بل تجده مطمئنّ النفس، هادئ البال، لأنه يعلم أن الله هو المعطي وهو المانع، وأن الرزق مقسوم والأجل محدود، فيسلّم أمره إلى ربّه، ويقنع بما رُزِق، موقنًا بأن ما كُتب له سيأتيه ولو لم يرد أهل الأرض، وأن ما لم يكتب لن يأتيه ولو وقفت معه جميع الخلائق.

قال تعالى: ﴿**قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا وَعَلَى اللهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ**﴾ (التوبة:51)، إن الإنسان إذا علم أن ما قدره الله كائن، وأن كل ما ناله من خير أو شر إنما هو بقدر الله وقضائه؛ هانت عليه المصائب، ولم يجد مرارة شماتة الأعداء وتشفّي الحسدة، والله هو ناصرنا، وجاعل العاقبة لنا، ومظهر دينه على جميع الأديان، والتوكل على الله (تفويض الأمور إليه)، والمعنى: أن من حقّ المؤمنين أن يجعلوا توكلهم مختصًا بالله سبحانه، لا يتوكلون على غيره[87]، قال السمرقندي: "إلَّا ما قضي الله لنا وقدر علينا من شدة أو رخاء"[88].

قال الماوردي –رحمه الله– "ينبغي لمن مُني بالتطير أن يصرف عن نفسه دواعي الخيبة وذرائع الحرمان، ولا يجعل للشيطان سلطانًا في نقض عزائمه، ومعارضة خالقه، ويعلم أن قضاء الله تعالى عليه غالب، وأن رزقه له طالب، إلا أن الحركة سبب، فلا يثنيه عنها ما لا يضير مخلوقًا ولا يدفع مقدورًا، وليمض في عزائمه واثقاً بالله تعالى إن أعطى، وراضيًا به إن منع"[89].

وقال ابن القيم –رحمه الله– "فالطيرة باب من الشرك وإلقاء الشيطان وتخويفه ووسوسته، يكبر ويعظم شأنها على من أتبعها نفسه، واشتغل بها، وأكثر العناية بها، وتذهب وتضمحل عمن لم يلتفت إليها، ولا ألقى إليها باله، ولا شغل بها نفسه وفكره"[90].

قال تعالى: ﴿**أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِكْكُمُ المَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُشَيَّدَةٍ وَإِنْ تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِ اللهِ وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِكَ قُلْ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ اللهِ فَمَالِ هَؤُلَاءِ القَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا**﴾ (النساء:78)، قال الطبري: قل يا محمد، لهؤلاء القائلين إذا أصابتهم حسنة: "هذه من عند الله"، وإذا أصابتهم سيئة: "هذه من عندك"، كل ذلك من عند الله، دوني ودون غيري، من عنده الرخاء والشدة، ومنه النصر والظفر، ومن عنده الفَلُّ والهزيمة[91]، وقال المراغي: إن أصابهم رخاء ونعمة؛ قالوا: إن الله أكرمهم بها عناية بهم، وليس لهداية الرسول أثر في ذلك، وإن أصابهم شدة وجهد؛ قالوا: هذا من شؤم محمد علينا، وهذه مقالة اليهود والمنافقين حين قدم النبي –صلى الله عليه وسلم– المدينة وأصابهم القحط والجدب، وهذا زعم باطل منهم، فكل من النعمة والبلية من عند الله خلقًا وإيجادًا يقع في ملكه بحسب السنن التي وضعها والأسباب والمسببات التي أوجدها[92].

المطلب الثاني– حسن الظنّ بالله والتوكل عليه:

إن الثقة بالله تعالى وحسن الظن به، وصدق التوكل عليه، وطرح الوساوس والأوهام، وقطع دابرها واجتثاث أصولها، وعدم الالتفات إليها بالكلية، والمضي في الشأن المقصود بعزم وحزم وقوة، مبناه كله على صدق الإيمان بالقضاء والقدر، يقول ابن عثيمين –رحمه الله– الإيمان بالقضاء والقدر عونٌ للمسلم على أمور دينه ودنياه؛ لأنه يؤمن بأن قدرة الله تعالى فوق كل قدرة، وأن الله ﷻ إذا أراد شيئًا؛ فلن يحول دونه شيء، فإذا آمن بهذا فعل الأسباب التي يتوصل بها إلى مقصوده، ونحن نعلم فيما سبق من التاريخ أن هناك انتصارات عظيمة انتصر فيها المسلمون مع قلة عددهم وعتادهم، كل ذلك لإيمانهم بوعد الله ﷻ وبقضائه وقدره، وأن الأمور كلها بيده تعالى[93]، لذا وجب

التوكل عليه وعدم الالتفات للمخاوف وعدم التشاؤم من الأحداث والأوهام، وحسن الظن به؛ قال ابن عثيمين –رحمه الله– "بل انطلق إلى ما تريد بانشراح صدر وتيسير واعتماد على الله ﷻ، ولا تسئ الظن بالله ﷻ"[94].

قال تعالى: ﴿**إِنْ يَنْصُرْكُمُ اللهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ وَإِنْ يَخْذُلْكُمْ فَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْصُرُكُمْ مِنْ بَعْدِهِ وَعَلَى اللهِ فَلْيَتَوَكَّلِ المُؤْمِنُونَ**﴾ (آل عمران:160)، وهذا تنبيه على أن الأمر كله لله، وعلى وجوب التوكل عليه، وليخصّ المؤمنون ربهم بالتوكل والتفويض إليه؛ علمهم أنه لا ناصر سواه، ولأن إيمانهم يقتضي ذلك[95]، وتقديم شبه الجملة (**وَعَلَى اللهِ**) يفيد الحصر والاختصاص، بمعنى: على الله توكلوا، لا على غيره، لأنه قد علم أنه هو الناصر وحده، فالاعتماد عليه توحيد محصل للمقصود، والاعتماد على غيره شرك غير نافع لصاحبه، بل ضار[96].

وقد أوضح لنا النبي ﷺ صراحة أن علاج التشاؤم بالتوكل على الله، حيث قال: (الطيرة شرك، وما منا إلا...، ولكن الله يذهبه بالتوكل)[97]، فلا يوجد منا أحد إلا ويعرض له الوهم من قبل الطيرة، فلم يصرّح بذلك الحالة المكروهة، ولكن الله يذهب ذلك المكروه بالتوكل عليه، ومعنى يذهبه بالتوكل منه إذا خطر له عارض التطير فتوكل عليه وسلم عليه ولو لم يعمل به عقوله، وحذف المستثنى لما فيه من سوء حال؛ فإنهم يرون ما يتشاءمون سببًا مؤثرًا أو ملاحظة الأسباب شركًا خفيًا؛ فكيف إذا انضم اليه سوء اعتقاد[98]، وقال ابن حجر: "وقوله: ولكن الله يذهبه بالتوكل، إشارة إلى أن من وقع له ذلك فسلم لله ولم يعبأ بالطيرة؛ أنه لا يؤاخذ بما عرض له من ذلك"[99].

المطلب الثالث– العلم النافع:

العلم آفة الجهل، والتشاؤم والتطير من أعمال الجاهلية، فمن أكرمه الله بالعلم الشرعي النافع، وأدرك مدى خطورة التطير والتشاؤم، فقد منَّ الله عليه منَّة عظيمة، ولكي يحصّل الإنسان العلم النافع، لابد أن يؤسس له بالتقوى، لقوله تعالى: ﴿**وَاتَّقُوا اللهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللهُ وَاللهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ**﴾ (البقرة:282)، قال القرطبي: "وعد من الله تعالى بأن من اتقاه علمه، أي يجعل في قلبه نورًا يفهم به ما يلقى إليه، وقد يجعل الله في قلبه ابتداء فرقانًا، أي فيصلاً يفصل به بين الحق والباطل، ومنه قوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا إن تتقوا الله يجعل لكم فرقانًا﴾ [100].

وها هو رسول الله يحثنا على طلب العلم النافع، في الحديث الذي يرويه ابن عباس، حيث قال: (كنت خلف النبي –صلى الله عليه وسلم– يومًا، فقال لي: يا غلام، إني أعلمك كلمات: احفظ الله

يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، وإن اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك، رفعت الأقلام، وجفت الصحف)[101]. فهذه الكلمات الجامعة هي بمثابة العلم النافع الذي يجسد العلاج التام للتشاؤم والتطير؛ فهي كلمات جامعة مانعة، معلمها رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ومتعلمها صحابي جليل هو ابن عباس رضي الله عنه.

وللعلم النافع ميزة، حيث إن الذي يعلم لا يستوي مع الذي لا يعلم، قال تعالى: ﴿**وَإِذَا مَسَّ الإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُ مُنِيبًا إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُ نِعْمَةً مِنْهُ نَسِيَ مَا كَانَ يَدْعُو إِلَيْهِ مِنْ قَبْلُ وَجَعَلَ للهِ أَنْدَادًا لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِهِ قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا إِنَّكَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ * أَمْ مَنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الآَخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الأَلْبَابِ**﴾ (الزُمر:9). قال الرازي: وأما قوله تعالى: قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون؛ فهو تنبيه عظيم على فضيلة العلم[102].

فمن علم العلم النافع، والذي يضع تصورات صحيحة لكل الأحكام الشرعية، فقد جنب نفسه الانزلاق في مزالق الشيطان، من سوء ظن بالله، وضعفٍ في الإيمان بالقضاء والقدر.

المطلب الرابع- مصاحبة المتفائلين:

لا شك أننا جميعًا نميل إلى مصاحبة المتفائلين، ونأنس إليهم ونتعلق بهم ونحب معاشرتهم والتحدث إليهم والاستماع إلى كلامهم ومراقبة تصرفاتهم، والاقتباس من سلوكهم وطريقة حياتهم وموقفهم تجاه المشكلات التي يواجهونها في الحياة، ذلك أنهم يوحون إلينا بالطمأنينة والتخلص من القلق الذي قد يستبد بنا، كما أنهم يخففون عنا الأعباء النفسية والهموم التي تكون قد تأتت علينا ورزحنا تحتها بسبب ما قابلناه من مواقف صعبة أو بسبب الفشل الذي أصابنا في الماضي.

وفي كثير من الأحيان لا يقف المتفائل إزاءنا موقف المخفف بالكلام والنصائح من همومنا وأوهامنا، بل يتعدى دوره هذا إلى نطاق العمل والممارسة، فتجده يسهم عمليًا في تذليل ما نجابهه من صعاب أو ما يعتمل في حياتنا من مشكلات؛ فهو يأخذ بأيدينا بالفعل ويحيل حياتنا إلى قطعة من السعادة. وذلك بما يسهم به من مواقف وتصرفات. فإذا ما لجأ الواحد منا إلى أحد أولئك المتفائلين؛ فإنه يسارع إلى مدّ يد العون إليه لا بالكلمة يسديها، فحسب بل بالتصرف أيضًا، بما في مقدوره من إمكانات وسلطات.

ويتربع الأنبياء والرسل على قمة هرم المتفائلين، لذا نجدهم في أحلك الظروف يرفعون همم من معهم، ممن قد تسلل اليأس والتشاؤم إلى قلوبهم، فهذا نبي الله موسى عندما أدركه فرعون وجنوده، وقد خشي أصحاب موسى وفقدوا الأمل في النجاة، فكانت نظرة المتفائل بالله حتى قبل أن يوحى إليه بالخروج من ذلك الموقف اليائس، وقد أخبرنا الله تعالى بذلك، حيث قال: ﴿**فَلَمَّا تَرَاءَى الْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا لَمُدْرَكُونَ * قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ**﴾ (الشعراء:62)، قال الطبري: "فلما تناظر الجمعان: جمع موسى وهم بنو إسرائيل، وجمع فرعون وهم القبط، قال أصحاب موسى: إنا لملحقون، الآن يلحقنا فرعون وجنوده فيقتلوننا، وذكر أنهم قالوا ذلك لموسى، تشاؤمًا بموسى"[103]، يقول الشعراوي: "لكن كيف يقول موسى –عليه السلام– (**كَلَّا**) بملء فِيهِ، والأمر بقانون الماديات أنه عُرْضة لأنْ يُدْرَك قبل أن يكملها؟ والإجابة في بقية الآية: ﴿**إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ**﴾، فلم يقُلْ موسى: كلاّ اعتمادًا على قوته واحتياطه للأمر، إنما قالها اعتمادًا على ربه الذي يكلؤه بعينه، ويحرسه بعنايته، فالواقع أنني لا أعرف ماذا أفعل، ولا كيف أتصرف، لكن الشيء الذي أثق منه أنني متفائل بـ ﴿**إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ**﴾ [104].

وهذا نبي الرحمة محمد –صلى الله عليه وسلم– يعلّم صاحبه أبا بكر –رضي الله عنه– ويعلمنا من بعده، كيف يكون التفاؤل في أحلك الظروف، وما هي نتيجة صحبة المتفائلين، قال تعالى: ﴿**إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللهَ مَعَنَا فَأَنْزَلَ اللهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ**﴾ (التوبة:40).

وخير الجلساء والأصدقاء المتفائلين الذين تذكرك بالله رؤيته، وتنفعُ في الحياة حكمتُه، وتُعين على الطاعةِ نصيحتُه وسيرتُه، قال تعالى: ﴿**وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا**﴾(الكهف:28)، وقال أيضًا:﴿**الْأَخِلَّاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ**﴾ (الزُّخرف:67).

فالشخص الذى يرى أنه فاشل لا محالة يجتذب من حوله كلّ العوامل التي تؤمن له الفشل، ويكثفها، ويدفعها للدوران حوله، مما يجعل الفشل حقيقة حتمية لحياته، والشخص الذى يؤمن بأنه

سينجح، ويتفاءل بمستقبله، يحشد من حوله كل عوامل النجاح ويدور في فلكه، والتي أهمها الصحبة الصالحة من المتفائلين، ومن ثمّ يحقق النجاح.

المطلب الخامس- الدعاء:

الدعاءُ شأنُه في الإسلام عظيمٌ، ومكانتُه فيه ساميةٌ، ومنزلتُه منه عالية؛ إذ هو أجلُّ العبادات وأعظمُ الطاعات وأنفعُ القربات، ولهذا جاءت النصوصُ الكثيرةُ في كتاب الله تعالى وسنة رسوله -صلى الله عليه وسلم- المبيِّنةُ لفضله والمُنَوِّهةُ بمكانته وعظم شأنه، والمرغِّبةُ فيه والحاثَّةُ عليه، وقد تنوَّعت دلالاتُ هذه النصوص المبيِّنة لفضل الدعاء، فجاء في بعضها الأمرُ به والحثُّ عليه، وفي بعضها التحذير من تركه والاستكبار عنه، وفي بعضها ذكرُ عِظم ثوابه وكبر أجره عند الله، وفي بعضها مدحُ المؤمنين لقيامهم به، والثناءُ عليهم بتكميله، وغيرُ ذلك من أنواع الدلالات في القرآن الكريم على عظم فضل الدعاء.

مِمَّا يدلُّ على عِظم مكانته، قوله سبحانه: ﴿**وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ**﴾ (غافر:60)، وكقوله فيما حكاه عن نبيِّه إبراهيم عليه السلام: ﴿**وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللهِ وَأَدْعُو رَبِّي عَسَى أَلَّا أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي شَقِيًّا**﴾ {مريم:48}، ولقد سمَّى الله سبحانه الدعاءَ دِينًا كما في قوله: ﴿**فَادْعُوا اللهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ الكَافِرُونَ**﴾ (غافر:14)، ونحوها من الآيات[105].

وأخبر سبحانه -مرَغِّبًا عبادَه في الدعاءِ- بأنَّه قريبٌ منهم يُجيب دعاءَهم، ويُحقِّقُ رجاءَهم، ويعطيهم سؤلهم، قال تعالى: ﴿**وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ**﴾ (البقرة:186)، وقال تعالى: ﴿**أَمَّنْ يُجِيبُ المُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الأَرْضِ أَئِلَهٌ مَعَ اللهِ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ**﴾ (النمل:62).

لذا من ابتلي بالتشاؤم فملاذه الدعاء الصادق بما أخبرنا به النبي -صلى الله عليه وسلم-؛ فعن عبد الله ابن عمرو -رضي الله عنهما- قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: (من ردته الطيرة من حاجة فقد أشرك، قالوا: يا رسول الله، ما كفارة تلك؟ قال: أن يقول أحدهم: اللهم لا خير إلا خيرك، ولا طير إلا طيرك، ولا إله غيرك)[106].

وقال ابن عثيمين -رحمه الله-: "قوله: (فقد أشرك) إن اعتقد أن هذا المتشائم به يفعل ويحدث الشر بنفسه فهو شرك أكبر، وإن اعتقده سببًا فهو شرك أصغر، وكفارة هذا الشرك قول الإنسان: اللهم لا خير إلا خيرك[107].

قال ابن القيم -رحمه الله-: "واعلم أن التطير إنما يضر من أشفق منه وخاف، وأما من لم يبالِ به ولم يعبأ به شيئًا لم يضره ألبتّة، ولا سيما إن قال عند رؤية ما يتطير به أو سماعه: (اللهم لا طير إلا طيرك، ولا خير إلا خيرك، ولا إله غيرك، اللهم لا يأتي بالحسنات إلا أنت، ولا يذهب بالسيئات إلا أنت، ولا حول ولا قوة إلا بك)[108][109].

وقد روى ابن عباس -رضي الله عنهما- (أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- كان يقول عند الكرب: لا إله إلا الله العظيم الحليم، لا إله إلا لله رب العرش الكريم، لا إله إلّا الله رب السموات ورب الأرض ورب العرش الكريم)[110]، فهذا ذكر نبوي مأثور لعلاج الإنسان من أزمته النفسية، وكشف همومه القلبية التي يعانيها، ثم هو بالإضافة إلى ذلك دعاء مستجاب القضاء[111].

المطلب السادس- الفال الْحسن:

يعد التفاؤل من العلاجات الناجعة للتشاؤم، والفأل هو ما يُظَنُّ عنده الخير[112]، قال القرطبي: والفأل: هو الاستدلال بما يسمع من الكلام على ما يريد من الأمر إذا كان حسنًا، فإذا سمع مكروهًا فهو تطيُّرٌ، أمره الشرع بأن يفرح بالفأل ويمضي على أمره مسرورًا، وإذا سمع المكروه أعرض عنه ولم يرجع لأجله[113]، وقال ابن تيمية: الفأل: هو أن يفعل أمرًا، أو يعزم عليه متوكِّلاً على الله، فيسمع الكلمة الحسنة التي تسرُّه، مثل أن يسمعَ "يا نجيح"، "يا مفلح"، "يا سعيد"، "يا منصور"، ونحو ذلك[114].

وقد وردت عن النبيّ -صلى الله وعليه وسلم- أحاديثُ تستحبّ الفألَ، وتحُضُّ على التفاؤل، من ذلك:

-ما رواه أنس -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله -صلى الله وعليه وسلم-: (لا عدوى ولا طيرة، ويعجبني الفأل. قالوا: وما الفأل؟ قال: الكلمة الحسنة)[115].

- وقال رسول الله -صلى الله وعليه وسلم-: (لا طيرة، وخيرها الفأل، قالوا: وما الفأل يا رسول الله؟ قال: الكلمة الصالحة يسمعها أحدكم)[116].

- وقال صلى الله وعليه وسلم: (أصدق الطيرة الفأل، والعين حقّ)[117].

وكان النبيّ –صلى الله وعليه وسلم– لا يتطير من شيء وكان إذا بعث عاملاً سأل عن اسمه، فإذا أعجبه اسمه فرح به ورئي بِشرُ ذلك في وجهه، وإن كره اسمه رئي كراهية ذلك في وجهه، وإذا دخل قرية سأل عن اسمها، فإن أعجبه اسمها فرح بها ورُئي بِشرُ ذلك في وجهه، وإن كره اسمها رُئي كراهية ذلك في وجهه(118).

ولا يعني قوله صلى الله وعليه وسلم: "لا طيرةَ وخيرها الفأل"، وقوله: "أصدق الطيرة الفأل" وأشباهُهُ إباحةً منه للطيرة، وإنما هو من باب قول العرب: "الصيف أحرّ من الشتاء"، يعني: الفألُ في بابه أبلغُ من الطيرة في بابها، وباب الفأل هو التيامن، كما أن باب الطيرة هو التشاؤم(119).

وقال القرطبي: وإنما كان يعجبه الفأل؛ لأنه تنشرح له النفس، وتستبشر بقضاء الحاجة وبلوغ الأمل؛ فيحسن الظنَّ بالله(120)، ونقل الحافظ ابن حجر عن الإمام الحليمي القول: وإنما كان –صلى الله وعليه وسلم– يعجبه الفأل؛ لأن التشاؤم سوء ظنٍّ بالله تعالى بغير سبب محقق، والتفاؤل حسن ظن به، والمؤمن مأمور بحسن الظن بالله تعالى على كل حال(121).

ونقل عن الإمام الطيبي: معنى الترخص في الفأل، والمنع من الطيرة هو أن الشخص لو رأى شيئًا، فظنه حسنًا محرضًا على طلب حاجته؛ فليفعل ذلك، وإن رآه بضدّ ذلك؛ فلا يقبله، بل يمضي لسبيله، فلو قبل وانتهى عن المضيّ فهو الطيرة التي اختُصت بأن تُستعمل في الشؤم(122).

فالمتطير يصير قلبه متعلقًا بغير الله عبادةً وتوكلاً، فيفسد عليه قلبه وإيمانه وحاله، ويبقى هدفًا لسهام الطيرة، ويساق إليه من كل أوب، ويقيض له الشيطان من ذلك ما يفسد عليه دينه ودنياه، وكم هلك بذلك وخسر الدنيا والآخرة، فأين هذا من الفأل الصالح السارّ للقلوب، المؤيد للآمال، الفاتح باب الرجاء، المسكن للخوف، الرابط للجأش، الباعث على الاستعانة بالله، والتوكل عليه، والاستبشار المقوي لأمله، السارّ لنفسه؟ فهذا ضد الطيرة، فالفأل يفضي بصاحبه إلى الطاعة والتوحيد، والطيرة تفضي بصاحبها إلى المعصية والشرك، فلهذا استحب –صلى الله وعليه وسلم– الفأل، وأبطل الطيرة(123).

الخاتمة:

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وقد أتمّ الله علينا بنعمته بتمام هذا البحث الذي تضمن أهم النتائج والتوصيات، وبيان ذلك فيما يأتي:

أولاً- أهم النتائج:

1. التشاؤم والتطير بمعنى واحد، فهما لفظان مترادفان في المعنى، متطابقان في المُؤدّى؛ لا فرقَ بينهما إلا من جهة أصل الاصطلاح.
2. التشاؤم والتفاؤل ضدان مختلفان، والتشاؤم يكون فيما يكره الإنسان، بينما التفاؤل فيما يحب.
3. التشاؤم والتوكل، كالمرض وعلاجه، فالتوكل علاج للتشاؤم والتطير.
4. التشاؤم عادة جاهلية، فقد تشاءمت الأقوام بأنبيائهم، بل وجرت الأمثال على ألسنة الناس تتشاءم من أشخاص بعينهم.
5. أسباب التشاؤم كثيرة منها: الكفر، وسوء الظن بالله، والإسراف في المعاصي والآثام، والجهل والضلال، ووساوس الشيطان، والتقليد الأعمى.
6. كثير من المتشائمين يسقطون تفكيرهم السلبي على أشخاص بعينهم، حتى ولو كانوا أنبياءهم.
7. للتشاؤم آثار كثيرة منها: آثار نفسية، وآثار اجتماعية، وآثار اقتصادية، وآثار صحية، وآثار دينية، وآثار علمية.
8. التشاؤم مرض بحاجة لعلاج، وعلاجه: الإيمان بالقضاء والقدر، وحسن الظن بالله، والعلم النافع، ومصاحبة المتفائلين، والدعاء، والفأل الحسن.

ثانياً- أهم التوصيات:

1- اهتمام الباحثين والدعاة في استخراج الدرر الثمينة والنادرة من خير وأشرف كتاب ألا وهو القرآن الكريم، فهو بحرٌ لا ينضب.

2- أن يجتهد الدعاة والمصلحون في دعوة الناس إلى التفاؤل والبعد عن التشاؤم، وذلك من خلال التوعية المستمرة.

3- إصدار نشرات دورية توضح للناس خطر التطير والتشاؤم وعلاقتهما بالشرك.

المصادر والمراجع:

القرآن الكريم:

1. **أدب الدنيا والدين**، أبو الحسن علي بن محمد، الطبعة الأولى، 1986م، دار مكتبة الحياة.

2. **إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم**، أبو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى، دار إحياء التراث العربي– بيروت.

3. **أسباب النزول**، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، بدون طبعة ولا دار نشر. تحقيق: ماهر الفحل.

4. **أنوار البروق في أنواء الفروق**، أبو العباس شهاب الدين أحمد بن إدريس بن عبد الرحمن المالكي الشهير بالقرافي، عالم الكتب.

5. **أنوار التنزيل وأسرار التأويل**، ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر الشيرازي البيضاوي، تحقيق محمد عبد الرحمن المرعشلي، بيروت، دار إحياء التراث العربي.

6. **الإيمان بالقدر**، عَلي محمد محمد الصَّلاَّبي، الطبعة: الأولى، دار المعرفة للطباعة والنشر.

7. **بحر العلوم**، أبو الليث نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم السمرقندي (المتوفى: 373هـ)، بدون طبعة، وبدون دار نشر.

8. **البدع الحولية**، عبد الله بن عبد العزيز بن أحمد التويجري، الطبعة: الأولى، 1421هـ–2000م، دار الفضيلة للنشر والتوزيع، الرياض.

9. **تاج العروس من جواهر القاموس**، محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبو الفيض، الملقّب بمرتضى، الزَّبيدي، تحقيق مجموعة من المحققين، دار الهداية.

10. **تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام**، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد الذهبي، الطبعة الأولى، المكتبة التوفيقية.

11. **التحرير والتنوير**، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي، الطبعة الأولى1984 م، الدار التونسية للنشر – تونس.

12. **تفسير القرآن العظيم**، ابن كثير: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير، تحقيق سامي بن محمد سلامة، الطبعة: الثانية 1420هـ – 1999م، دار طيبة للنشر والتوزيع.

13. **تفسير القرآن**، منصور بن محمد بن عبد الجبار بن أحمد المروزى السمعاني التميمي الحنفي ثم الشافعي، تحقيق ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس بن غنيم، الرياض– السعودية، دار الوطن، 1418هـ– 1997م.

14. **تفسير المراغي،** أحمد بن مصطفى المراغي، الطبعة: الأولى، 1365هـ - 1946م، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبي وأولاده بمصر.
15. **التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج،** وهبة بن مصطفى الزحيلي، الطبعة : الثانية، 1418هـ، دار الفكر المعاصر– دمشق.
16. **تلقيح فهوم أهل الأثر في عيون التاريخ والسير، جمال الدين أبي الفرج عبد الرحمن ابن الجوزي السنة،** المؤلف: أبو عبد الرحمن عبد الله بن أحمد بن محمد بن حنبل الشيبانيّ البغدادي، الطبعة الأولى، 1406هـ - 1986 م المحقق: د. محمد بن سعيد بن سالم القحطاني، دار ابن القيم – الدمام.
17. **التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد،** أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي، تحقيق: مصطفى بن أحمد العلوي، محمد عبد الكبير البكري، وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية– المغرب.
18. **التوحيد لابن عبد الوهاب،** تحقيق: عبد العزيز بن عبد الرحمن السعيد وغيره، الناشر: جامعة الأمام محمد بن سعود، الرياض، المملكة العربية السعودية.
19. **التوضيح عن توحيد الخلاق في جواب أهل العراق وتذكرة أولي الألباب في طريقة الشيخ محمد بن عبد الوهاب،** سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب، الطبعة الأولى، 1404هـ–1984م، دار طيبة، الرياض، المملكة العربية السعودية.
20. **تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد الذى هو حق الله على العبيد.**
21. **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان،** عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي، تحقيق عبد الرحمن بن معلا اللويحق، الطبعة الأولى 1420هـ–2000م، مؤسسة الرسالة.
22. **جامع البيان في تأويل القرآن،** محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، تحقيق: أحمد محمد شاكر، بيروت– لبنان، مؤسسة الرسالة.
23. **الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه الموسوم بصحيح البخاري،** محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، تحقيق محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي)، 1422هـ.

24. **الجامع لأحكام القرآن**، أبو عبد الله محمد بن أحمد شمس الدين الموسوم بتفسير القرطبي، تحقيق أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، القاهرة، دار الكتب المصرية، الطبعة الثانية، 1384هـ- 1964 م.
25. **الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي أو الداء والدواء**، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين بن قيم الجوزية، الطبعة الأولى، 1418هـ - 1997م، دار المعرفة – المغرب.
26. **الخواطر**، محمد متولي الشعراوي، مطابع أخبار اليوم،1997م.
27. زاد المعاد في هدي خير العباد، محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية، الطبعة السابعة والعشرون، 1415هـ /1994م، مؤسسة الرسالة، بيروت- مكتبة المنار الإسلامية، الكويت.
28. **شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم**، نشوان بن سعيد الحميري اليمني، تحقيق د حسين بن عبد الله العمري وآخرون، الطبعة: الأولى، 1420هـ - 1999م، دار الفكر المعاصر بيروت – لبنان.
29. **الفوائد**، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين بن قيم الجوزية، الطبعة الثانية، 1393هـ- 1973 م، دار الكتب العلمية – بيروت.
30. **الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية**، الشاهد البوشيخي: أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار، بيروت، دار العلم للملايين، ط4، 1407هـ- 1987م.
31. **غذاء الألباب في شرح منظومة الآداب**، شمس الدين، أبو العون محمد بن أحمد بن سالم السفاريني الحنبلي، الطبعة الثانية، 1414 هـ- 1993م، مؤسسة قرطبة- مصر.
32. **فتح الباري شرح صحيح البخاري**، زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب الحنبلي، تحقيق: محمود بن شعبان بن عبد المقصود وآخرون، الطبعة: الأولى، 1417 هـ- 1996م، مكتبة الغرباء الأثرية – المدينة النبوية.
33. **فتح القدير**، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني، الطبعة الأولى- 1414هـ، دار ابن كثير، دار الكلم الطيب- دمشق، بيروت.
34. **فقه الأدعية والأذكار**، عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر، الطبعة الثانية، 1423هـ- 2003م، الناشر: الكويت.

35. **في ظلال القرآن**، سيد قطب إبراهيم حسين الشاربي، ط17، 1412هـ، القاهرة – بيروت، دار الشروق.
36. **الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل**، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله، الطبعة الثالثة، 1407هـ، بيروت، دار الكتاب العربي.
37. **لسان العرب**، محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين بن منظور الأنصاري الرويفعي الإفريقي، بيروت، دار صادر، ط3، 1414هـ، ج13، ص385.
38. **مجمع الأمثال**، لأحمد بن محمد بن أحمد بن إبراهيم الميداني النيسابوري، محمد أبو الفضل إبراهيم، 1987م، دار الجيل، بيروت– لبنان، ط2، (194/2).
39. **مجمع بحار الأنوار في غرائب التنزيل ولطائف الأخبار**، جمال الدين، محمد طاهر بن علي الصديقي الهندي الفَتَّنِي الكجراتي الطبعة الثالثة، 1387هـ– 1967م، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية.
40. **مجموع الفتاوى**، ابن تيمية، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني، تحقيق عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، المدينة المنورة، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، 1416هـ–1995م.
41. **مجموع فتاوى ورسائل فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين**، محمد بن صالح بن محمد العثيمين، الطبعة الأخيرة– 1413هـ، جمع وترتيب: فهد بن ناصر بن إبراهيم السليمان، دار الوطن– دار الثريا.
42. **محاسن التأويل**، محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق القاسمي، تحقيق محمد باسل عيون السود، بيروت، دار الكتب العلمية.
43. **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**، عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن عطية، تحقيق عبد السلام عبد الشافي محمد، الطبعة الأولى– 1422 هـ، دار الكتب العلمية– بيروت.
44. **مدارك التنزيل وحقائق التأويل**، أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين النسفي، حققه وخرج أحاديثه: يوسف علي بديوي، راجعه وقدم له: محيي الدين ديب مستو، الطبعة الأولى، 1419هـ– 1998م، دار الكلم الطيب، بيروت.

45. **مسائل الجاهلية**، دون زيادات محمود شكري الألوسي، محمد بن عبد الوهاب بن سليمان التميمي النجدي (المتوفى: 1206هـ).
46. **المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ**، مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي– بيروت.
47. مصباح الزجاجة في زوائد ابن ماجه، أبو العباس شهاب الدين أحمد بن أبي بكر بن إسماعيل ابن سليم بن قايماز بن عثمان البوصيري الكناني الشافعي، المحقق: محمد المنتقى الكشناوي، دار العربية – بيروت.
48. **معالم التنزيل في تفسير القرآن**، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء، تحقيق عبد الرزاق المهدي، الطبعة الأولى، 1420 هـ، دار إحياء التراث العربي– بيروت،.
49. **معجم مقاييس اللغة**، أحمد بن فارس بن زكريا القزويني الرازي، تحقيق عبد السلام محمد هارون، 1399هـ – 1979م، دار الفكر للنشر والتوزيع.
50. **مفاتح الغيب**، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي خطيب الري، الطبعة الثالثة– 1420هـ، دار إحياء التراث العربي – بيروت.
51. **المفردات في غريب القرآن**، أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني، تحقيق صفوان عدنان الداودي، الطبعة الأولى– 1412هـ، دار القلم، الدار الشامية– دمشق بيروت. **مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة**، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين بن قيم الجوزية، دار الكتب العلمية– بيروت.
52. **المفيد في مهمات التوحيد**، عبد القادر بن محمد عطا صوفي، الطبعة الأولى 1422هـ–1423هـ، دار الاعلام.
53. **منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية**، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد بن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي، الطبعة الأولى، 1406هـ – 1986م، المحقق: محمد رشاد سالم، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.
54. **المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج**، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي، دار إحياء التراث العربي– بيروت، الطبعة الثانية.

55. **نظم الدرر في تناسب الآيات والسور**، إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي، القاهرة، دار الكتاب الإسلامي.
56. **النهاية في غريب الحديث والأثر**، مجد الدين أبو السعادات الجزري ابن الأثير، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي- محمود محمد الطناحي، الطبعة الأولى، 1399هـ- 1979م، المكتبة العلمية- بيروت.

---

(1) انظر: مقاييس اللغة (3/ 239).

(2) انظر: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، للجوهري (5/ 1957).

(3) انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر (2/ 437).

(4) انظر: لسان العرب، ابن منظور (2177/4).

(5) انظر: لسان العرب (12/ 315).

(6) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني (376/11).

(7) التحرير والتنوير، ابن عاشور (376/11).

(8) مقاييس اللغة (3/ 435).

(9) المفردات في غريب القرآن، للراغب (528).

(10) مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة (2/ 246).

(11) أنوار البروق في أنواء الفروق (4/ 238).

(12) فتح الباري (10/ 213).

(13) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية (5/ 1788).

(14) انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الاثير (3/ 405).

(15) انظر: تاج العروس، الزبيدي (30/ 142).

(16) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الطب، باب الطيرة، رقم 5754 (7/ 135).

(17) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب السلام، باب الطيرة والفأل وما يكون فيه من الشؤم، رقم 2224 (4/ 1746).

(18) انظر: تاج العروس، الزبيدي (30/ 141).

(19) انظر: مجمع بحار الأنوار، جمال الدين الصديقي (4/ 87).
(20) انظر: مقاييس اللغة، ابن فارس (6/ 136).
(21) انظر: شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم، حسين العمري (11/ 7271).
(22) الفوائد (87).
(23) زاد المعاد في هدي خير العباد (4/ 14).
(24) أخرجه ابن ماجه في سننه، كتاب الطب، باب من كان يعجبه الفأل ويكره الطيرة، حديث 3538، (2/ 1170).
(25) جامع البيان، الطبري (19/ 476).
(26) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (3/ 371).
(27) مدارك التنزيل وحقائق التأويل (2/ 610).
(28) تفسير القرآن (4/ 103).
(29) انظر: تفسير القرآن العظيم (6/ 198).
(30) انظر: تفسير المراغي (19/ 147).
(31) انظر: جامع البيان، الطبري (20/ 499)، وانظر: تفسير القرآن، السمعاني (4/ 371)، وانظر: في ظلال القرآن، سيد قطب (5/ 2955)، وانظر: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، الزمخشري (4/ 8)، وانظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير (6/ 569).
(32) في ظلال القرآن (5/ 2961).
(33) انظر: تفسير المراغي (9/ 41).
(34) انظر: جامع البيان ت شاكر (13/ 47).
(35) انظر: التفسير المنير للزحيلي (9/ 61).
(36) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبو السعود (3/ 264).
(37) انظر: تفسير السمعاني (1/ 449)، وانظر: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (1/ 538).
(38) انظر: مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير (10/ 145).
(39) فتح القدير (1/ 565).

(40) أخرجه ابن ماجه في سننه، كتاب الطب، باب من كان يعجبه الفأل ويكره الطيرة، رقم 3538، (2/ 1170).

(41) انظر: فتح الباري لابن حجر (10/ 213).

(42) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (3/ 371).

(43) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور (14/ 175).

(44) انظر: أنوار التنزيل وأسرار التأويل (4/ 265).

(45) تفسير القرآن العظيم (6/ 570).

(46) مفاتيح الغيب (26/ 262).

(47) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الزهد والرقائق، باب المؤمن أمره كله خير، رقم 2999، (4/ 2295).

(48) انظر: المفيد في مهمات التوحيد، عبد القادر صوفي (ص: 146).

(49) انظر: فتح القدير للشوكاني (4/ 587).

(50) انظر: الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي (138).

(51) انظر: مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة (2/ 256).

(52) انظر: محاسن التأويل (8/ 293).

(53) انظر: الوجيز للواحدي (936).

(54) جامع البيان (20/ 504).

(55) انظر: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، الزمخشري (4/ 9).

(56) مفاتيح الغيب، الرازي (26/ 262).

(57) تفسير المراغي (9/ 42).

(58) مفاتيح الغيب (14/ 344).

(59) انظر: معالم التنزيل (5/ 44).

(60) انظر: أنوار التنزيل وأسرار التأويل، البيضاوي (2/ 180).

(61) انظر: تفسير القرآن العظيم (6/ 198).

(62) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (3/ 371).
(63) انظر: جامع البيان (19/ 477).
(64) انظر: فتح القدير (4/ 165).
(65) التوضيح عن توحيد الخلاق في جواب أهل العراق، سليمان بن عبدالله بن عبد الوهاب (53).
(66) انظر: مسائل الجاهلية، محمد بن عبد الوهاب (8).
(67) انظر: في ظلال القرآن، سيد قطب (5/ 3182).
(68) انظر: المصدر نفسه (4/ 2091).
(69) انظر: في ظلال القرآن، سيد قطب (4/ 2385).
(70) انظر: الإيمان بالقدر، محمد الصلابي (151).
(71) انظر: جامع البيان (19/ 476).
(72) انظر: مفاتيح الغيب، الرازي (24/ 560).
(73) انظر: جامع البيان، الطبري (20/ 499)، وانظر: تفسير القرآن، السمعاني (4/ 371)، وانظر: في ظلال القرآن، سيد قطب (5/ 2955)، وانظر: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، الزمخشري (4/ 8)، وانظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير (6/ 569).
(74) في ظلال القرآن (5/ 2961).
(75) انظر: جامع البيان (13/ 47).
(76) فتح القدير (1/ 565).
(77) انظر: مفاتيح الغيب، الرازي (31/ 179).
(78) انظر: تفسير القرآن، السمعاني (5/ 314).
(79) انظر: السنة، لعبد الله بن أحمد (1/ 188).
(80) تاريخ الإسلام، الذهبي (6/ 395).
(81) انظر: غذاء الألباب في شرح منظومة الآداب، للسفاريني (1/ 176).
(82) انظر: مفتاح دار السعادة (3 / 272).
(83) مجموع الفتاوى، ابن تيمية (1 / 137).
(84) مفتاح دار السعادة (3 / 311 _ 312).

(85) انظر مقال بعنوان: مكاملة الذكاء العاطفي بعملية التعلم، التفاؤل والتشاؤم وعلاقتهما بالتعلم، مها قرعان، رؤى تربوية، العدد 21، (120 _ 121).

(86) انظر: التطير، جابر السميري (19 – 20).

(87) انظر: فتح القدير، للشوكاني (2/ 421).

(88) بحر العلوم (2/ 64).

(89) أدب الدنيا والدين (378).

(90) مفتاح دار السعادة (271/3).

(91) انظر: جامع البيان (8/ 556).

(92) انظر: تفسير القرآن (5/ 96).

(93) انظر: مجموع فتاوى ورسائل العثيمين (2/ 113).

(94) القول المفيد (78/2).

(95) انظر: مدارك التنزيل وحقائق التأويل، النسفي (1/ 307).

(96) انظر: تيسير الكريم الرحمن، السعدي (154).

(97) أخرجه ابن ماجه في سننه، كتاب الطب، باب من كان يعجبه الفأل ويكره الطيرة، رقم 3538، (2/ 1170). قال الألباني صحيح.

(98) انظر: شرح سنن ابن ماجه، للسيوطي (253).

(99) فتح الباري (10/ 213).

(100) جامع أحكام القرآن (3/ 406).

(101) أخرجه أحمد في مسنده، رقم 2669، (4/ 409). قال الألباني صحيح.

(102) انظر: مفاتيح الغيب (26/ 429).

(103) انظر: جامع البيان (19/ 355).

(104) انظر: الخواطر (17/ 10578).

(105) انظر: فقه الأدعية والأذكار، عبد الرزاق البدر (2/ 9).

(106) أخرجه الإمام أحمد في مسنده، رقم 7045، (11/ 623).

(107) انظر: القول المفيد على كتاب التوحيد (2/96-97).

(108) أخرجه أبو داوود في سننه، كتاب الطب، باب في الطيرة، رقم 3919 (6/ 61)، قال شعيب الأرناؤوط حسن لغيره.

(109) انظر: مفتاح دار السعادة (271/3).

(110) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الدعوات، باب دعاء الكرب، رقم 7021، (8/ 85).

(111) انظر: منار القاري شرح مختصر صحيح البخاري، حمزة محمد قاسم، (5/ 209).

(112) انظر: الفروق، للقرافي (137/4).

(113) انظر: الجامع لأحكام القرآن (178/19).

(114) انظر: مجموع الفتاوى(41/23).

(115)أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب السلام، باب الطيرة والفأل وما يكون فيه من الشؤم، رقم 111، (4/ 1746).

(116) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الطب، باب الطيرة، رقم 5754، (7/ 135).

(117) أخرجه الإمام أحمد في مسنده، رقم 7883، (13/ 265). ذكره الألباني في الصحيحة.

(118) أخرجه أبو داود في سننه، كتاب الطب، باب الطيرة، رقم 3920، (4/ 19).

(119) انظر: فتح الباري (376/11).

(120) انظر: الجامع لأحكام القرآن (290/7).

(121) انظر: فتح الباري (376/11).

(122) انظر: فتح الباري (376/11).

(123) انظر: مفتاح دار السعادة، ابن القيم (312/3).